اتحاد المؤرخين العرب
بالقاهرة

مجلة المؤرخ العربى

العدد الثامن – المجلد الأول
مارس ٢٠٠٠

هيئة التحرير :

أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور رئيس الاتحاد
أ. د. حسنين محمد ربيع
أ. د. سليمان إبراهيم العسكرى
أ. د. عبد اللطيف عبد الله بن دهيش
أ. د. سهيل محمد زكار
أ . د. مصطفى محمد رمضان

المـؤرخ العـربى

مجلة تاريخية علمية محكمة تصدر عن

اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة

العدد الثامن – المجلد الأول – مارس ٢٠٠٠

فى هذا العدد

- كلمة الافتتاح رئيس التحرير
- رؤية مصر لجيرانها فى الشرق الأدنى من واقع النصوص المصرية القديمة.
  د. علاء الدين عبد المحسن شاهين
- حجر رشيد : قصة الكشف وحل رموزه .
  د. عبد المنعم عبد الحليم سيد
- البارثينـــــــون . د. محمود إبراهيم السعدنى
- قبرص فى المصادر المصرية القديمة . د. محمد السيد عبد الحميد
- مرويات عمر بن شبه فى تاريخ الطبرى بين سنتى ٥٩ ، ٦٥هـ .
  د. عبد العزيز عبد الله السلومى
- قبرص بين السيادة المصرية والأشورية القديمة .
  د. محمد على سعد الله
- خطط الراشدين فى البحر المتوسط . د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى

- المحاولات العربية لفتح القسطنطينية فى العصر الأموى .

  د. صلاح حسن العاوور

- التاريخ السياسى لمدينة أستجة الأندلسية منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الدولة الأموية . د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا
- وزراء العصر العباسى الأول . د . فايزة إسماعيل أكبر
- القبالات فى المغرب والأندلس . د. صلاح أحمد عبد خليفة
- ابن ظفر الصقلى وجهوده العلمية . د. على محمد سعيد الزهرانى
- السياسة الأمنية للسلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الأول .

  د. نورة عبد الله باديباب

- التنافس الدولى فى الخليج . د. عمر بن صالح بن سليمان العمرى
- العلماء والأئمة فى عمان . د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمى
- نقشان كتابيان يؤرخان لعمارة دار الحميدية بمكة المكرمة .

  د. عادل بن محمد نور غباشى

- علماء الأندلس ودورهم فى التصدى للقوى الأسبانية المسيحية فى عصر الطوائف . د. سحر السيد عبد العزيز سالم
- الغرب الأوروبى و حركة الإصلاح فى الدولة العثمانية .

  د. سعيد بن سعد سفر الغامدى

- المعاهدة التركية الأمريكية عام ١٨٣٠م .

  د. عبد العليم على أبو هيكل

- **على الغاياتى ودوره فى الحركة الوطنية .**

  د. حسن أحمد يوسف نصار

- **الحماية الأجنبية فى المغرب الأقصى .** د. تركى عجلان الحارثى
- **الفكر السياسى عند الأمير عبد القادر الجزائرى .**

  د. إسماعيل زروخى

- **الصحوة العربية فى القرن العشرين .** د. مدحت محمد عبد النعيم

السياسة الأمنية للسلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد الأول وأثرها على التقدم الاقتصادى لبلاده

دراسة تحليلية

د. نورة عبد الله باديان(*)

مرت دولة سلاجقة الروم كغيرها من الدول بمراحل عديدة خلال تاريخها ابتداء من مرحلة التأسيس والبناء (٤٧٤ - ٦٠٧هـ/١٠٨١ - ١٢١٠م) مروراً بمرحلة النضج والازدهار (٦٠٧ - ٦٣٤هـ/١٢١٠ - ١٢٣٧م) وانتهاء بمرحلة الضعف والانهيار (٦٣٤ - ٧٠٠هـ/١٢٣٧ - ١٣٠٣م) .

ومهما يمكن أن يكتب أو يقال عن صعوبة مرحلة التأسيس والبناء ، إلا أن دور النضج والازدهار كان الدور الأكثر عطاء ، وهو الدور الذى ترك بصماته الواضحة فى تاريخ تلك المنطقة ، فلا غرو أن يطلق على ذلك الدور اسم « العصر الذهبى »[١] .

ولقد لعب السلطان علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ - ٦٣٤هـ/١٢١٩ - ١٢٣٦م) الذى كان ألمع وأكثر سلاطين سلاجقة الروم تميزًا - دورًا بارزًا فى ذلك العصر حتى استحق لقبى السلطان العظيم ، وسلطان العالم[٢]. فالسياسة الأمنية التى اتبعها بمنطق سليم وصارم بهدف حفظ أمن السلطنة وتنمية الحياة الاقتصادية فيها ، جعلت اسمه يخلد فى التاريخ كأعظم رجل سياسة عرفته آسيا الصغرى فى العصور الوسطى (القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى) وهو عصر نهوض الاقتصاد ونمو العلاقات التجارية .

وقد اتبع علاء الدين كيقباد فى سبيل تنفيذ هذه السياسة كل الوسائل الممكنة الديبلوماسية ، والحربية ، واستطاع إحراز الكثير من النجاحات فى الميادين الخارجية والداخلية مما كان له أثره فى ازدهار الوضع الاقتصادى لبلاده .

(*) جامعة الملك عبد العزيز - جدة .

ففى الميدان الخارجى وعلى الحدود الغربية لم تشكل إمبراطورية نيقية البيزنطية[٣] خطرًا حقيقيًا أو تهديدًا مباشرًا لسلاجقة الروم بل على العكس كانت تشكل ترسًا ضد الصليبين اللاتينين الذين كانوا يعدون الأعداء الغربيين للروم البيزنطيين بعد استيلائهم على القسطنطينية سنة ١٢٠٤م[٤] .

واستمر التقارب والوفاق بين سلاجقة الروم وإمارة نيقية البيزنطية طوال عهد كيكاوس الأول وأخيه كيقباد الأول ، بل زاد هذا التقارب بين الطرفين عند مجئ الغزو المغولى لآسيا الصغرى[٥] .

وهكذا لم يكن هناك خطر يذكر من جهة الحدود الغربية مما وافق خطط السلطان كيقباد الأول الذى كان يرغب فى استمرار رفاهية وأمان شعبه على الحدود الغربية وعدم رغبته فى أن تعيش فى اضطراب[٦] .

أما بالنسبة للحدود الأخرى لدولته فقد كانت سلطنة سلاجقة الروم بحكم موقعها الجغرافى ممرًا لكثير من الطرق التجارية العالمية ، فضلاً عن تملك سلاجقة الروم لكثير من المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية الكبيرة ، لذا كان من الطبيعى أن يبذل علاء الدين كيقباد من الجهود ما يحقق به الإشراف على تجارة العبور وذلك بتأمين هذه الطرق وبالتكفل بدفع كل ما يمكن أن يعرض لها من خطر .

وبناء عليه انطلقت السياسة الأمنية وفق خطوات صائبة منذ توليه العرش وارتكزت على أساس حماية سواحل بلاده أولاً باعتبار أن المنافذ البحرية التى اكتسبها سلاجقة الروم هى موانئ مهمة تخدم تجارة العبور من ناحيتى الشمال والجنوب ، فضلاً عن حرصه الكبير واهتمامه البالغ بحماية طرق التجارة البرية ومحطاتها وهو ما دفعه إلى الاتجاه بعزيمة نحو شرق بلاده (الحدود الشرقية لدولته) .

قام علاء الدين كيقباد بمجرد جلوسه على العرش ، وبتوجيه من بعض أمرائه ، بفتح حصن كالونوروس وقلعة آلاره على الساحل الجنوبى لبلاده والتى

كان من الممكن أن تكون محور ارتكاز للقبارصة والفرنج الآخرين ، وغير اسمها إلى العلائية (العلايا) . وأنشأ فيها ترسانة بحرية لخدمة أسطوله ولحماية أنطالية[٧] . وتم بذلك تأمين الساحل الجنوبى لبلاده .

كذلك هيأ فتح علائية وتأمين أنطالية الطريق لإقامة علاقات تجارية عن طريق البحر مع قبرص وسورية ومصر[٨] . ووصل إلى الأراضى السلجوقية. التى أصبحت تمثل عصب تجارة العبور فى القرن الثالث عشر الميلادى / السابع الهجرى ، التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون الذين كانوا يمارسون تلك التجارة بين سينوب وقونية وقبرص والإسكندرية والجزيرة ويحملون مختلف البضائع من الشعير والصوف والجلود والحرير والخام المشغول بل وحتى المجوهرات والفراء والرقيق وغيرها من البضائع الثمينة[٩] . وزاد كيقباد الأول من عظم أهمية الطرق التى تمر عبر أراضى دولته بتأسيس نوع من نظام تأمين الدولة وفرض ضرائب جمركية معقولة[١٠].

وقد تابع علاء الدين كيقباد الأول اتخاذ التدابير الفعالة الهادفة لحماية طرق التجارة الدولية (العبور) فقام بعد فتح علائية وفى الفترة بين ٦٢٣ - ٦٢٥هـ بعدة حملات عسكرية لإعادة الأمن والاستقرار لبعض المناطق التى تعرض فيها التجار لبعض عمليات القرصنة .

ويذكر المؤلفون فى هذا الشأن أن ثلاثة من رعايا السلاجقة دخلوا على خيمة السلطان علاء الدين كيقباد أثناء تواجده فى قيسارية يشكو أحدهم من مشكلة قرصنة تعرض لها من جانب الروم والقبجاق عبر الخزر سرقوا فيها كل أمواله التى أضاع حياته من أجلها ثم جاء شخص آخر يشكو من اضطراب أمن الطرق المتجهة والقادمة من حلب وخاصة عند عبورها ولاية تكفور[*] بلاد

(*) تكفور : لقب عام يقصد به كل من جلس على عرش مملكة أرمينية الصغرى ، مثلما لقب إمبراطورية الدولة البيزنطية بالأشكرى ، ومالك الحبشة بالحطى والنجاشى . ابن فضل الله العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٥٥ ، مطبعة العاصمة ، مصر، ١٣٢١هـ . وسعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ ، بيروت ، ١٩٧٧م .

سيس(*) ليفون(*) الأرمنى[١١] . Lifon حيث سرق الكفار أمواله. وأخيرا جاء شخص ثالث من أهالى انطالية يتحدث عن سرقة الفرنج لسفينته التجارية وفيها أمواله وأموال أصدقائه وقاموا بأسرهم[١٢] . فأثارت هذه الحكايات مشاعر السلطان وأمر بتطييب قلوبهم بسرعة وصرف أموالا لهم من خزائنه[١٣] . وأمر رجاله بالتحقيق حول هذه الوقائع وتقديم التعويضات للمتضررين ، ثم التفت جهة أمرائه قائلا : (الروم إن لم تغز غزت) ، وهو مثله المشهور ، وأضاف قائلا « نحن مسؤولون عن إعاشة هذه الشعوب فى أمن وسلام »[١٤] .

وهكذا أذن علاء الدين كيقباد للقوة العسكرية بالتدخل لحل تلك المشاكل، فأرسل حملة بقيادة الأمير حسام الدين جوبان(*) إلى القرم على رأس قوة بحرية تحوى العديد من السفن وبالتحديد صوب سغداق وذلك فى سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م ، وتمكن الجيش السلجوقى من احتلالها فى سنة ٦٢٥هـ[١٥] . وكان التجار الذين شكوا إلى السلطان مع الأمير ، فاستعاد جميع ما نهب من أموالهم ومتاعهم ورده إليهم[١٦] . ومد الأمير نفوذه إلى الداخل واستطاع فرض سيطرته على ممالك القبجاق والإمارات الروسية[١٧] . وفرض عليهم الجزية والخراج وأنشأ السلاجقة جامعا هناك ، وعينوا قاضيا وخطيبا ومؤذنا للجامع ومجموعة من الحراس[١٨] . ثم ركبوا السفن المحملة بالغنائم وعادوا إلى سينوب وقسطمونى[١٩] .

(*) سيس : هى عاصمة أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ .

(*) ليفون : أحد الألقاب التى اختارها المسلمون لملك أرمينية الصغرى وكذلك ابن لاون وهو تحريف للفظ ليون أو ليو أول ملوك أرمينية الصغرى . سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٣٩ .

(*) حسام الدين جوبان : أمير قسطمونى ، وزعيم التركمان الأوج الذين اشتهروا بالبسالة وشدة المراس وكان مشهورا بذكائه وبطولته وكثرة أتباعه وجنده .

Osman Turan: Selcuklulan Zamaninda, p. 358.

وكان يلزم القيام بحملة ضد الأرمن فى قليقية لوقوع هجمات على التجار والقوافل القادمة من الجنوب وفقدان الطريق لأمنه وأمانه . والمعروف أن قليقية كانت تشكل خطرا شديدا على المسلمين نظرا لطبيعتها الجغرافية الوعرة إذ يصعب غزوها عن طريق بلاد الشام[٢٠] . كما كان فى مقدور القوى المعادية التى تسيطر على قليقية شن الغارات على أعمال حلب والعودة عبر بوابات قليقية والتحصن بمعاقلها الجبلية . وذلك مثل ما حدث فى عهد علاء الدين كيقباد من اعتداء على التجار القادمين من حلب عبر أراضى قليقية . فقام علاء الدين بجمع جنوده فى قيصرية استعدادا لحملة ضد الأرمن واستخدم التركمان الذين تجمعوا بأعداد كبيرة على الحدود . واتجه الجيش السلجوقى إلى قليقية . بقيادة الأميرين مبارز الدين جاولى الجاشنكير[*] والأمير كومنانوس موزد الرومى[٢١] .

وقرر الاثنان الاستيلاء على كل القلاع التى تصادفهما فى طريقهما إلى أرمينية ورفع أعلام السلطنة عليها . ووصلوا بعد فترة وجيزة إلى أقوى وأحصن القلاع وهى شينشن Cincin فأمر الجاشنكير جاولى الجنود بفرض الحصار على هذه القلعة الشهيرة ، مما اضطر الأهالى إلى طلب المساعدة والعون من ليون الأرمنى ، وأرسل ليون رسالة مؤثرة إلى الفرنج يطلب فيها العون، ويشعل فيها الغيرة والتعصب المسيحى فأرسلوا له من الجند والمدد ما لا يحصى . وتقابل الجيش الأرمنى مع الجيش الإسلامى ، وثبت المسلمون وأطلقوا رماحهم ونبالهم على الأعداء الكفرة ، وقتلوا وأسروا منهم الكثير ، وهرب ليفون ونفر ممن معه ، وغنم غنائمهم المسلمون . فما كان من أهالى القلعة بعد هذه الهزيمة إلا أن أرسلوا أحد رهبانهم يطلب الصلح ، فأجابه إليه الأمير الجاشنكير مبارز الدين ، وعقدت معاهدة أمان ، أخلى بموجبها الأرمن القلعة ورحلوا . ورفعت أعلام السلطنة على

(*) الجاشنكير : الأمير الذى يقوم بتذوق المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفا من أن يدس عليه فيه سم . القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جـ٥ ، ص٤٦٠

أبراج القلعة ، وبعثت البشائر للسلطان . وطلب قواد الحملة الإمدادات والمؤن لمواصلة الفتوحات فى أرمينية مما أوقع الرعب فى قلوب الأرمن الذين بعثوا إلى الأمراء بطلب الصلح مقابل دفع الجزية ضعفين ، وإمداد جيش المسلمين بألف وخمسمائة من الجند المشاة للمشاركة فى الحرب والقتال ، وضرب اسم السلطان علاء الدين كيقباد الأول على العملات النقدية التى تسك[٢٢] .

وبعث الأمراء رسالة ثانية إلى السلطان يبلغونه أمر العرض الجديد وكانوا قد أتموا فتح كل القلاع الأرمينية . فقام السلطان بإرسال فرمان ورسالة تتضمن الشكر لملك الأمراء والأمير كومنا نوس على جهودهم كما كتب عهد أمان عفى فيه عن اخطاء ليون . وطلب منه أولاً تقديم كل التعويضات للتجار الذين اغتصبت أموالهم من طرف اغنياء ورجال شعب القلاع التى تمكن قواد كيقباد من فتحها مع الزيادة ودفع الجزية مضاعفة[٢٣] . كما أمر أن يسلم أمر هذه الولاية وما فيها من قلاع إلى أحد أمرائه وهو الأمير قمر الدين وأن يعود الأمراء مبارز الدين جاولى وكومنانوس إلى مقر السلطنة لشرح مجريات الحرب ، كما أمر أن يعود الجند إلى أوطانهم للراحة[٢٤] .

وفى الوقت الذى كان فيه ملك الأمراء حسام الدين جوبان يقوم بفتح سغداق ومبارز الدين جاولى وكومنانوس بفتح أرمينيا . كان واحدًا من أقدم عبيد السلطنة وهو الأمير مبارز الدين أرتقش حاكم أنطالية يتخذ طريقه نحو الساحل الجنوبى وتمكن من فتح ما يقرب من أربعين قلعة . وعلى الرغم من أنه لاقى مقاومة شديدة من الفرنج إلا أنه تمكن من هزيمتهم خاصة عندما زادت حدة المعركة ، ثم أجبرهم على إخلاء القلاع ، فهرب معظمهم فى جنح الليل واضطر بقية أهالى القلاع أن يطلبوا الأمان عندما شعروا بعجزهم[٢٥] وبعد أن أكمل مبارز الدين ارتقش السيطرة على الساحل أرسل إلى السلطان بأخبار هذه الفتوحات وطلب منه السماح للقيام بحملة على جزر الفرنج (قبرص) . ولكن السلطان لم يجبه إلى طلبه ، واكتفى بتوجيه الأوامر إلى ارتقش لإعادة دفع وسداد كل حقوق التجار بل وزيادتها

ثم عودة الجند إلى بلادهم . وعاد مبارز الدين ارتقش إلى قيصرية ليعرض على السلطان أعمال الفتوحات التى قام بها ، ولاقى من إكرام السلطان الشئ الكثير[٢٦] .

وهكذا استطاع علاء الدين كيقباد خلال حملاته العسكرية أن يحقق عدة أهداف خدمت النواحى الاقتصادية لدولته .

أولها : حماية منافذ الدولة البحرية وتأمينها من الناحيتين الجنوبية والشمالية بتأسيس ميناء علائية على البحر المتوسط ، وبالاستيلاء على سغداق على ساحل البحر الأسود . مما أدى إلى تزايد كثافة وحركة السفن التجارية المحملة بالبضائع المختلفة وتشجيعها على الإبحار والرسو فى تلك الموانئ بأمان . بما فيها سفن الدول المسيحية من بنادقة وبروفنسايين وحتى اللاتين[٢٧] .

ثانيها : تأمين التجار على أرواحهم وأموالهم بتأديب الدول التى كان أفرادها من روم وأرمن يمارسون القرصنة ، وإجبارهم على تعويض التجار الذين سرقت بضائعهم وسفنهم ، بل إننا نجد كيقباد يؤسس نوعا من نظام تأمين الدولة أو الضمان الحكومى الذى لم تعرف تفاصيله ، وذلك عن طريق دفع تعويضات من خزينة الدولة للتجار الذين يتضررون من فقدان وضياع بضاعتهم وأموالهم ويتعرضون لهجمات القراصنة والأشقياء[٢٨] . فأمن التجار واستمروا فى ممارسة نشاطهم التجارى عبر أراضى الدولة السلجوقية الآمنة بشكل ملحوظ فى عهده وأصبحت المدن السلجوقية ملتقى لنشاط أولئك التجار على اختلاف جنسياتهم ، ومراكز لتصريف بضائعهم .

ثالثها : تأمين مصادر الجزية ، حيث أنه من المعروف أن الجزية كانت تمثل مصدرا من المصادر المالية لدولة سلاجقة الروم الإسلامية[٢٩] . لذلك حرص كيقباد على تحصيلها وقد أجبرت السيطرة السلجوقية على المناطق والقلاع التى فتحت خلال عمليات التأديب ، حكام تلك المناطق على إبداء

مظاهر الخضوع والتبعية ليس فقط بسك اسم السلطان على العملة ، أو بتقديم المساعدات العسكرية ، وإنما أيضا بتأدية الجزية بل ومضاعفتها أيضا . ويظهر ذلك واضحا عندما سمع كيقباد بعصيان أمير العلايا وخيانته وسعيه لتسليم القلعة للفرنج القبارصة ، « فغضب السلطان غضبا شديدا وجمع معيته ، ووصل إلى علائية خلال شهر . وبعد التحقق من الأخبار التى وصلت له تبين بالفعل أن حاكم القلعة كان ظالما وخائنا حيث شهد عليه الأئمة والحفاظ وشرحوا مقاصده السيئة . فأصدر السلطان كيقباد الأوامر بتوقيع أقصى العقوبة به وبالذين يقومون بنفس الخيانة ، والتى تنص على تقطيع جسده وتعليقه على أبراج القلعة . فلما بلغت أخبار هذه العقوبة الرادعة مسامع ملوك وأمراء الساحل ، قاموا بجمع الجزية والخراج طواعية وأرسلوها لأعتاب السلطان »[٣٠] . كما كانت طرابيزون وإمبراطورية نيقية البيزنطيتان تدفعان الجزية لسلاجقة الروم ، وكانت المبالغ الكبيرة التى التزم إمبراطور طرابيزون بدفعها لدولة السلاجقة قد زادت من قوة وثراء دولة سلاجقة الروم وظل أباطرة طرابيزون يدفعون الجزية لسلاجقة الروم حتى الغزو المغولى سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م .

سياسة علاء الدين كيقباد نحو المناطق الشرقية وأثرها على النواحى الاقتصادية لدولته :

أولى سلاجقة الروم منذ بداية حكمهم اهتماما بالمناطق التى تقع شرقى دولتهم، وازداد هذا الاهتمام فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى . وأما عن الأسباب التى دفعتهم إلى التوجه نحو الشرق فيبدو أنها غامضة إلى الحد الذى دفع بالمؤرخ الفرنسى كلود كاهن أن يطرح التساؤلات الآتية :

١ - « هل كان الأمر يتعلق بإرادة توسعية طبيعية دفعتها للاستفادة من تشرذم الدول المنافسة لها كما هو شأن كل دولة قوية ؟ » .

٢ - « لقد قاموا بتوحيد شرق آسيا الصغرى لصالحهم ، فهل كانوا يريدون أن يضيفوا إليه كل الدول التى يقطن بها جزء من السكان الأتراك أم كانوا يريدون إبطال الدسائس التى يمكن أن تحاك بداخلها ؟ » .

٣ - « هل كانوا يعتقدون بأنه كلما اتسع نطاق دورهم العازل أمكنهم القضاء على الهجمات المتوقعة بشكل أفضل ؟ »[٣١] .

ومع أخذ كل التساؤلات التى طرحها كلود كاهن فى الاعتبار ، إلا أنه يبدو أنه أغفل طرح التساؤل الأكثر أهمية والتساؤل الذى يدور حول احتمال وجود أطماع اقتصادية لدى سلاجقة الروم فى توجهاتهم نحو الشرق ، وعلى الأخص فى عهد السلطان علاء الدين كيقباد الأول الذى كان يمثل ذروة التقدم الاقتصادى لسلاجقة الروم .

وبما أن المراكز التجارية لسلاجقة الروم والتى كانت تخدم تجارة العبور خلال حكم كيقباد الأول كانت تقع شرقى طريق انطالية - سينوب[٣٢] ، فإنه من المرجح أن كيقباد الأول فى سياسته الشرقية كان يهدف إلى إيجاد طوق أمنى يحمى الطريق التجارى وما يقع عليه من محطات ومدن تجارية . ولكى ندرك مدى أهمية العامل الاقتصادى فى توجيه سياسة كيقباد نحو الشرق ، كان لا بد من إلقاء الضوء على الأهمية الاقتصادية التى تمتعت بها المدن الواقعة على الحدود الشرقية لدولته سواء كانت تلك المدن تتبع سلاجقة الروم أو تتبع غيرها من الدول المجاورة .

وهنا كان لا بد من الاكتفاء بعدد المراكز الإدارية الأساسية التى كانت موجودة فى يد سلاجقة الروم عندما اعتلى كيقباد الأول العرش . وذلك لعدم وجود خرائط تشير إلى كل تفصيلات الحدود والتى يمكن مقارنتها بالخرائط العصرية . وكانت المراكز الإدراية الهامة تشمل قونية ، هرقلة ، نيكده ، آقسرا ، قيسارية ،

البستين ، ملطية ، سيواس ، طوقات ، أماسية ، سينوب ، قسطمونى ، قير شـــهر ، أنقرة ، آقشهر ، اسبرطه ، انطالية(*) .

ولقد شكلت معظم المدن السلجوقية فى آسيا الصغرى مراكز تجاريـــة هامـــة وحيوية خدمت الحركة التجارية الداخلية ، وحركة تجارة المـــرور ، خاصـــة تلـــك المدن التى كانت تقع فى النواحى الشرقية للدولة ، مثل سيواس ، قيسارية ، ملطيـــة وآقسر ، وغيرها .

كذلك ارتبطت تلك المدن السلجوقية مع غيرها من المدن التجاريـــة الشـــرقية الواقعة فى منطقتى الجزيرة والشام . ومن المعروف أن تلك المدن الشرقية ســـواء ما كان منها فى آسيا الصغرى أو فى الجزيرة أو فـــى الشـــام عرفـــت بشـــهرتها الاقتصادية وغمرت بالأسواق التجارية إما لوقوعها علـــى الطـــرق التجاريـــة ، أو لوفرتها الاقتصادية من الناحيتين الزراعية والصناعية . ويعتبر هذا تفسيرا منطقيـــا لسياسة الاهتمام والحرص الشديدين اللذين أولاهما الســـلطان كيقبـــاد لكـــل مـــن : سيواس ، أرزنجان ، أرزن الروم ، خلاط ، آمد ، بل وحتى حلب .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن السياسة الشرقية لعلاء الديـــن كيقبـــاد الأول كانت تدور فى المقام الأول حول حماية طرق تجارة العبور أو المرور التى شـــكلت المدن الشرقية جزءا مهما منها .

أما بالنسبة لسيواس التى كانت تمثل قصبة التجارة السلجوقية فقد لعبـــت دورا هاما فى تنمية الاقتصاد السلجوقى ، حيث كانت مركزا تجاريا حيويا تتفـــرع منـــه الطرق الداخلية نحو أماسية وتوقات ، وآقسراى وقيســـارية ، وقونيـــة العاصمـــة ، ومنها إلى أنطالية وعلائية على الساحل الجنوبى لآسيا الصغـــرى ، وهـــو طريـــق التجار البروفانسيون والبنادقة والمصريون . هذا علاوة على الارتباط الـــذى كـــان بين سيواس وتجار القرم عن طريق موانئ سينوب وسامسون . فقـــد قـــامت فـــى

(*) انظر مواقع هذه المدن على خريطة رقم (١) .

عصر علاء الدين كيقباد الأول (فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى) « حركة تبادل تجارى كبرى بين السكان المسلمين فى آسيا الصغرى وبلاد الشام وبلاد ما بين النهرين من جهة ، وبين سكان جنوب روسيا (القفجاق) من جهة أخرى . وكان تجار بلاد الروس والموصل يتقابلون عادة فى سيواس بأعداد كبيرة تكفى لتشكيل قوافل ، يمضون بها صوب البحر الأسود عبر إقليم سلاطين سلاجقة الروم عن طريق سينوب وسامسون ويعبرون البحر ليصلوا إلى جنوب بلاد الروس[٣٣] .

وكانت مدن سلاجقة الروم فى ذلك الوقت ترتبط بالشرق الأقصى بواسطة الطرق المارة من فارس وتبريز[٣٤] . وكان أشهر تلك الطرق طريق يربط بين تبريز قاعدة إقليم أذربيجان وأهم مدنه التجارية وبين قونية ، ويبدأ من تبريز فى اتجاه الشمال الغربى إلى مدينتى أرزن الروم وأرزنجان اللتين كانتا تقومان بحراسة هذا الطريق الهام من جهة الشرق[٣٥] . ومنها إلى الغرب حتى سيواس ، ومنها فى اتجاه الجنوب الغربى إلى مدينة قيسارية ، ومنها إلى الغرب مع ميل للجنوب إلى قونية العاصمة . ويستخدم هذا الطريق فى نقل منتجات الشرق كالتوابل ، والبخور، وسكر الهند ، وخزف الصين ولآلى الخليج العربى إلى بلاد سلاجقة الروم ، كما كان هناك طريقين آخرين يتجهان نحو سيواس أحدهما من بلاد الجزيرة ، والآخر من بلاد الشام ، وهو الطريق الذى يرتاده التجار السوريون[٣٦] ، ويربط بين حلب وقيسارية وهو الذى أعطى أهمية وحيوية كبيرة لمنطقة الإسكندرونة[٣٧] وهنا تجدر الإشارة إلى أهمية حلب فى تلك الفترة حيث كانت المركز التجارى المتوسط بين الشرق والغرب، وأصبحت فى العصور الوسطى تحتل أعظم مدخل للتجارة الشرقية[٣٨] . وكانت البضائع التى تأتى من البلاد الشمالية عن طريق موانئ سينوب وسامسون وطرابيزون توزع على مدن سواحل البحر المتوسط وحلب ومنها إلى بقية العالم الإسلامى[٣٩] . وأهم هذه البضائع تتمثل فى الفراء والرقيق[٤٠]. كما شكل الصابون سلعة تجارية هامة كانت تصدر من حلب إلى

سلاجقة الروم هذا عدا عن كونها سوقا مهما لحجر الشب(*) الذى كان يصدر إليها من سيواس(٤١) . وما يهمنا فى الموضوع أن حلب كانت أكثر الممالك الأيوبية الشامية فى ذلك الوقت تأثرا بمجاورة دولة سلاجقة الروم ، نظرا لوقوعها فى شمال الشام ومجاورتها لها ، فضلا عن تداخل الثغور الشامية والجزرية بين المملكتين حيث كان بعضها يتبع مملكة حلب وبعضها الآخر يتبع دولة سلاجقة الروم . وتظهر أهمية المناطق الشرقية فى احتوائها أيضا على الثروات المنجمية التى اهتم سلاجقة الروم بتنميتها واستغلالها منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادى فى أرجاء الدولة ، مثل الحديد والنحاس والفحم وحجر الشب ، وكانت معظم هذه المواد الخام تتوافر فى المناجم الواقعة فى المناطق الشرقية من الدولة فحجر الشب كان يتوافر فى المناطق الواقعة حول سيواس ، واشتهرت ديار بكر بمناجم النحاس. كما تجدر الإشارة إلى سلعة اقتصادية أخرى اشتهرت بها المناطق الشرقية ألا وهى السمك المجفف الذى اشتهرت به بحيرة خلاط وأرجيش وهو من أهم الصادرات إلى بلاد الروم ومنها إلى الشواطئ الشمالية على البحر الأسود .

وهنا نود أن نشير إلى أنه على الرغم من أن سلاجقة الروم أصبحوا فى الربع الثانى من القرن الثالث عشر بلدا مصدرا ، إلا أن استيراداتهم ظلت تزيد على صادراتهم(٤٢) . وإذا ألقينا نظرة على مستوى البضائع التى كان سلاجقة الروم يستوردونها من البلدان الشرقية وأهميتها فى تلك الفترة لأمكننا أن نضيف عاملا آخر من عوامل اهتمام السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد بتأمين المناطق الشرقية وإنعاش طرق التجارة التى تمر عبرها ، فلم يقتصر سلاجقة الروم على استيراد القطن من مصر وإنما كانت حماة وحلب تقومان أيضا بتصدير القطن الجيد

(*) الشب : يعتبر حجر الشب من المعادن الهامة التى تنتجها سلطنة سلاجقة الروم . وكان هذا الحجر يستخدم على نطاق واسع فى صناعات العصور الوسطى كالأدوية والصباغة ودباغة الجلود . وأشهر محاجره فى آسيا الصغرى ، فى آقسراى ، وسيواس ، والوباد ، وقراحصار وكوتاهيه .

لسلاجقة الروم ، أما الأنواع الأجود منه والممتازة فتأتى من أرمينيـــة الصغـــرى ، وتصدر إليهم بغداد الصوف الناعم الخفيف الجيد الصنع والذى يستعمله الســـلاجقة لعمائم سلاطينهم ووزرائهم ، ويأتيهم من بغداد أيضا المسك وأعواد الند والعنـــبر ، أما الحرير الممتاز والباهظ الثمن فيأتى من الصين ، ويأتيهم السجاد من بلاد فـارس وخاصة من شيراز وبلاد ما وراء النهر ، أما الأحجار الكريمة التـــى شـــغف بـــها السلطان ورجال بلاطه فتأتى من آسيا الوسطى . وتقـــدم لـــهم جورجيـــا الخيـــول الأصيلة ، ويأتى الفراء بكميات كبيرة من روسيا[٤٣] .

وإذا رجعنا إلى الخريطة[*] يتضح لنا أن الحد الشرقى لدولة سلاجقة الـــروم عندما تولى كيقباد العرش كان يقوم على الفرات الأعلى حيث تقع مدينـــة ملطيـــة (التى كانت تمثل قاعدة الثغور الجزرية) ، أهم مدن الولايات الشرقية، التـــى تقـــع شمال الجبل الدائر[٤٤] شرقى الفرات حيث تلتقى سلسلة جبال بنطـــس مـــع جبـــال طوروس الأرمنية[٤٥] .

وكانت تلك التضاريس الجبلية المحيطة بالحدود الشرقية لســـلاجقة الروم أحد العوامل التى دفعت سلاجقة الروم لمحاولة التوسع عـــبر جبالهـــم فـــى الســـهول الزراعية الخصبة لشمال الشام وديار بكر[٤٦] . وقـــد أغرى خصب تلك الأراضـــى السلطان علاء الدين كيقباد الأول للتقدم نحوها بقصد اســـتغلالها وتهيئتـــها لتكـــون أماكن مناسبة لتوطين التركمان[٤٧] ، إذ أنه أدرك ضرورة الاهتمام بقضية توطيـــن تلك الجماعات التركمانية والاستفادة منها فى زراعة تلك المناطق وتنميـــة قدراتـــها الاقتصادية ، وجذب التركمان للعيش فيها بقصد الحد من خطـــر انســـياحها داخـــل الأراضى السلجوقية ، وحماية الطرق التجارية ومناطق الزراعة الغنية من أعمالـــها التخريبية . وكأن كيقباد استشف ما قد يحدث من اضطرابـــات علـــى يـــد أولئـــك التركمان من جهة الشرق خلال حياته وبعـــد مماتـــه مثلمـــا فعـــل الخوارزميـــون

(*) انظر خرطية رقم (١ ، ٢) .

والتركمان الإيوانية وغيرهم من أعمال السلب والنهب وتخريب طرق التجارة ومحطاتها وما فعله التركمان أتباع البابا إسحاق من حركة وعصيان وتمرد وتخريب لأراضى سلاجقة الروم بعد وفاته[٤٨] . فضلا عما سيحدث على يد أبناء تلك العشائر التركمانية من تغييرات سياسية لخريطة آسيا الصغرى .

وبناء عليه يمكن القول أن قضية توطين التركمان الذين كانوا يندفعون من الحدود الشرقية إلى داخل الأراضى السلجوقية فى آسيا الصغرى ، كانت هدفا وغاية من أهم أهداف وغايات السلطان كيقباد فى توجيه سياسته نحو الشرق ، وهو ما سيتضح خلال صفحات البحث .

كما كان اهتمام سلاجقة الروم بالجهات الشرقية نابعا من إدراكهم لأهمية ميله نهر الفرات الذى يخرج من أراضيهم ويمتد حتى يصب فى خليج فارس سواء من ناحية نقاء وصحة مياهه ، أم من ناحية صلاحية استخدامه كوسيلة طيبة للنقل والمواصلات[٤٩] .

ومن البديهى أن يكون السلطان علاء الدين كيقباد قد أدرك أهمية نهر الفرات الاقتصادية والاستيراتيجية ، فحرص كل الحرص على تحقيق نوع من الرقابة والإشراف على المدن والمحطات التجارية التى تقع عليه أو بالقرب منه بحكم أنها مواقع هامة تخدم تجارة العبور التى تهم سلاجقة الروم ، إضافة إلى أنها تمثل أسواق تجارية لها ثقلها الاقتصادى بما تمتعت به من موارد زراعية وصناعية وهذا يضيف سببا آخر لاهتمام علاء الدين كيقباد وحرصه على أمن كل من أرزنجان ، أرزن الروم ، بل وحتى حلب فى الشام ، فكلها من المدن التى منحها الفرات أهمية استراتيجية واقتصادية لا تخفى علىأحد .

ولعل فى استعراض امتداد نهر الفرات ومواقع هذه المدن منه ، ما يعزز القول بأهمية الفرات فى خدمة تجارة العبور . كما يؤيد القول بأن الفرات أعطى لتلك المدن بالفعل أهمية اقتصادية كبرى حيث منحها الخصب والرخاء ووفرة

المزروعات ، كما منحها أهمية استراتيجية بجعلها محطات ليس فقط للطرق التجارية البرية ، وإنما أيضا على الطريق النهرى للفرات والذى يصل إلى بلاد سلاجقة الروم .

فمدينة أرزن الروم التى تعتبر آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق[٥٠] ، بها منبع الفرات الذى ينبع من شرقيها وشماليها[٥١] . ثم يقطع نهر الفرات بلاد الروم ويمر بالقرب من ملطية (بينها وبينه ميل) ، ثم يجرى ما بين ملطية وسميساط[*] (وهى على غرب الفرات) فيعطف إلى جهة الجنوب ويمر بسميساط ويحمل من هناك السفن والأطواف إلى بغداد[٥٢] ثم يعطف بأخذ إلى الجنوب حتى يصل إلى بالس ويمر بنصيبين والرقة والرحبة وهيت والأنبار ويأخذ منه نهر عيسى الذى ينتهى إلى مدينة السلام (بغداد) ثم يمر حتى يصب فى دجلة ، وأكثر ماء الفرات يصب فى البطائح ، ثم يمر حتى يقع فى خليج أيلة فى بحر الهند (البحر الفارسى)[٥٣] . وهكذا يمكن الاستدلال على أن نهر الفرات كان طريقا حيويا من طرق المواصلات بين الشرق الأقصى وبلاد سلاجقة الروم .

أما أرزنجان فتقع غربى أرزن الروم (بين سيواس وأرزن الروم) فى ضفة الفرات اليمنى حيث تجرى مياهه خلفها[٥٤] . والطريق التى بين أرزن الروم وأرزنجان كلها مروج ومراعى[٥٥] ، ويتوافر فيها معدن النحاس ، وهى ذات هواء طيب[٥٦] .

ويمر الفرات أيضا فى عمل حلب من حد ملطية إلى أن يتجاوز الرقة – كما أوضحنا – وهو إذا انتهى إلى الشام ودخل فى أرضها تصب فيه أنهار متعددة من أعمال حلب منها النهر الأزرق وهو دون الدرب على حد بلاد الروم من الشام[٥٧] ، وكان مدخلا لبلاد سلاجقة الروم استغله الكامل فى الدخول لغزو سلاجقة الروم سنة

(*) سميساط : من بلاد الشام ، وهى على الفرات وفى الغرب عن قلعة الروم وفى الشمال عن حصن منصور وماؤها من الفرات ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٧.

٦٣٢هـ[٥٨] ، كما استخدم علاء الدين كيقباد نهر الفرات للعبور بزوارقه وجنوده إلى الضفة اليمنى لبسط نفوذه حتى أواسط امتداد نهر الفرات[٥٩] كما سيتضح لاحقا ، مما يؤكد أهمية الفرات فى المواصلات وتأثير ذلك على أمن دولة سلاجقة الروم السياسى والاقتصادى . كما يجب ألا نغفل حقيقة هامة وهى أن سلاجقة الروم كبقية الشعوب التركية – حتى وقتنا الحاضر – يعلقون أهمية كبرى على نوعية مياه الشرب التى يستعملونها . وكانت هذه المهمة معقدة وصعبة خاصة فى فترات الجفاف ، لصعوبة نقل الماء من الفرات والمشاكل المعقدة المتعلقة به . فعندما سقط عز الدين كيكاوس الأول فى قيرشهر(*) اضطر رئيس السقاة لجلب مياه الشرب من الفرات على الرغم من طول المسافة التى تبلغ حوالى ١٥٠ ميلا[٦٠] . مما يؤكد القول بأن نهر الفرات قد لعب دورا هاما لدى سلاجقة الروم من ناحية كونه أيضا منبعا مائيا لأفضل مياه صحية للشرب ، كغيره من أنهار آسيا الصغرى وينابيعها[٦١] التى انتشرت فى عصر السلاجقة انتشارا ملحوظا . لذلك كان من الطبيعى أن يولى السلطان كيقباد اهتماما كبيرا للمحافظة على سلامة وأمن واستقرار المنطقة التى ينبع منها نهر الفرات ، وكذلك أمن المناطق التى يجرى خلالها ويخترقها لما لذلك من أهمية فى خدمة النواحى الاقتصادية والاستراتيجية لبلاده .

ولا بد أن نذكر هنا عاملا آخر يعتبر من أهم العوامل التى وجهت كيقباد للاهتمام بتأمين الحدود الشرقية لبلاده . ألا وهو التهديد المغولى القادم من الشرق . إذ أن المغول بتماديهم فى الهجوم على دول الجوار مثل القبجاق والكرج كانوا قد أوقعوا الفزع والرعب فى البلاد السلجوقية والعراق والجزيرة وحتى فى بلاد الشام.

(*) قير شهر : مدينة كبيرة ذات مبانى جميلة تقع على بعد ثمانين ميلا غرب قيصرية وكانت ذات شأن .

Hamd Allah Mustawfi of Qazwin: Nuzhat AL-Qulub, p.10.

وأخذت تلوح فى الأفق مخاطر الدمار الذى الحقته هجمات المغـول بالديـار التـى اجتاحوها[٦٢] .

لذلك ركز علاء الدين كيقباد اهتمامه صوب الشرق الذى يهدد دولته بخطـر مرعب ، فأنشأ كأول تدبير أمنى أسوار وقلعة سيواس وقونيـة وذلـك فـى سـنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[٦٣] .

ولقد أفلح علاء الدين كيقباد بتحصينه لسيواس وغيرها من المـدن الشـرقية لبلاده ، إذ حدث ما كان متوقعا من جهة الشرق . فقد مثلت سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٣م نقطة فاصلة فى تاريخ آسيا الصغرى ، أو بالأحرى فـى تـاريخ سـلاجقة الـروم ومستقبلهم ، حيث حدث أن تقدمت الفرق العسكرية المغوليـة برئاسـة شـرماغون نويين[*] نحو سيواس وقتل الكثير من البشر وأسر الكثير منهم أيضـا ، كمـا قـام بتخريب العديد من المناطق حتى وصولا إلى منطقة (ابن راحت) القريبـة مـن سيواس . إلا أنهم بعد هذا الهجوم عادوا مسرعين . وقام السلطان علاء الدين كيقباد بعد علمه بحوادث التخريب والفوضى التى قام بها جحافل المغول باتخاذ مجموعـة من الإجراءات الرامية إلى زيادة تحصين الحدود الشرقية لدولته مثل القيـام ببنـاء وتحصين المزيد من القلاع لمواجهة هذا الهجوم المحتمل . وقد أدرك المغول مـدى قوة هذا السلطان وشهرته مع الأيام وأرسلوا له مبعوثا من طرفهم هو السفير شـمس الدين عمر القزوينى ، وأراد المغول بذلك أن يصدقوا على سـلطنة عـلاء الديـن بإرسال سفيرهم ، كما أراد ضمنا أن يدخلوه تحت تبعيتهم[٦٤] . وشمل كيقباد السـفير ببالغ الرعاية وأحاطه بمظاهر التكريم وأخذ يعد الهدايا لإرساله للمغول، واسـتطاع علاء الدين كيقباد بهذا التصرف الحكيم أن يجنب بلاده خطورة بالغة شهدتها العهود التالية بعد وفاته .

(*) نويان ونويين : هو اللقب الذى يعنى فى لغة المغـول كبـار الشـخصيات وأقـارب السلاطين والحكام .

انظر خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٥٧ .

وقد زادت هذه الحادثة من إصرار علاء الدين كيقباد الأول على الاهتمام بالمناطق الشرقية وتحصينها وإعمارها وحشد الجموع التركمانية المقاتلة فيها وكان هدفه تهيئة تلك المناطق اقتصاديا وعسكريا حتى تستطيع مقاومة الأخطار التى قد تتعرض إليها حتى لا تتأثر بالتالى طرق تجارة العبور الشرقية ويحفظ علاء الدين كيقباد الشريان الرئيسى لاقتصاد دولته من مخاطر الاضطراب وعدم الاستقرار .

ملامح السياسة الشرقية للسلطان علاء الدين كيقباد الأول :

كانت سياسة السلطان علاء الدين كيقباد الأول الشرقية تقوم على أساس تحقيق المصلحة العامة ، مما يعنى أنه طالما كانت تلك المناطق تنعم بالاستقرار السياسى الذى ستنعكس آثاره بطبيعة الحال على تحقيق الأمن الاقتصادى ، فإن كيقباد لم يكن يحرك ساكنا ، سواء كانت تلك المناطق تابعة للأيوبيين كحلب ، خلاط ، أو لبنى منكوجك(*) كأرزنجان ، أو للأراتقة كآمد ، أو لأبناء عمومته كأرزن الروم . أما عندما كانت تلوح فى الأفق بوادر النزاع والاضطراب السياسى الذى ستنعكس آثاره السلبية على أمن الطرق والمحطات التجارية مثل ما حدث من نزاع بين الأيوبيين ، والتجاء للخوارزمين ، فإنه كان يقوم بتسيير جيوشه فى سبيل إعادة الأمن والاستقرار للمنطقة . وبمقارنة ودراسة التحركات العسكرية لعلاء الدين كيقباد الأول نحو الشرق يتضح أنها كانت تمتاز عن تحركات بقية أسلافه من سلاجقة الروم فى أنها لم تتم فى سرعة أو تهور ، وإنما كانت تحركات متأنية ومدروسة فكان كيقباد الأول يختلف فى سياسته تلك عن أخيه كيكاوس الأول الذى اتسمت سياسته الشرقية بالتسرع وعدم الحكمة ، مما أدى إلى فشل حملته على حلب واضطراره إلى الفرار . ويعلق المؤرخ ابن الأثير على فراره قائلا : « وإنما فعل هذه لأنه صبى غر لا معرفة له بالحرب »(٦٥) .

---

* بنومنكوجوك : من التركمان الذين استقروا وكونوا إمارات خاصة بهم فى غربى الفرات حيث فتحوا ارزبجان وكماخ وديوركى وقره حصار .

وكشفت كذلك سياسة كيكاوس الأول تجاه الشرق عن عدم إدراكه للخطر الصليبى الذى كان يحيط بالدولة الأيوبية ، فهو لم يتعاون معها ، بل كان عامل تهديد للنفوذ الأيوبى فى شمال الشام ، الأمر الذى شغل جزءا كبيرا من القوات الأيوبية للتصدى لخطر سلاجقة الروم . ولقد دفع سوء تصرفه ذاك بعض المؤرخين إلى إتهامه بالقسوة والظلم بل والخيانة أيضا فيقول عنه أبو شامه وابن تغرى بردى : « إنه كان جبارا ، ظالما ، سفاكا للدماء » ولما عاد إلى بلده من كسرة الأشراف له بحلب أتهم خوفا من أمراء دولته بأنهم قصروا فى قتال الحلبيين فسلق بعضهم فى القدور ، وجعل آخرين فى بيت فأحرقهم فأخذه الله بغته فمات فجأة سكران ، وقيل ابتلى فى بدنه فتقطع »[٦٦]. بل أتهمه أبو شامه بأنه « هو الذى أطمع الفرنج فى دمياط »[٦٧] ، بينما أشاد معظم المؤرخين بشخصية علاء الدين كيقباد وامتدحوه ، قال سبط بن الجوزى : « كان عاقلا شجاعا مقداما جوادا ، وهو الذى كسر الخوارزمى وكسر الكامل واستولى على بلاد الشرق »[٦٨] .

وقال عنه ابن العبرى : « كان السلطان علاء الدين كيقباد ممتازا بين ملوك زمانه بمنظره المخيف وذكائه المفرط وشخصه النقى المنزه عن كل الأهواء الرديئة خلافا لملوك العرب المعتادين الانغماس فيها . وكان المجرمون يهابونه جدا إذ كان صارما فى أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدنا واصقاعا عديدة »[٦٩] . كما قال عنه ابن بيبى : « استطاع علاء الدين كيقباد، بعون من الله تعالى أن يحول سلطنته إلى العلو والرقى حيث حقق الانتصارات الحربية وأنشأ القلاع العظيمة والأبراج العالية»[٧٠] .

وقال عنه الذهبى : « كان شجاعا ، مهيبا ، وقورا ، سعيدا ، هزم خوارزم شاه واستولى على عدة مدائن » و« كان فيه عدل وإنصاف فى الجملة »[٧١] . كما قال القرمانى : « كان ملكا مهابا وقورا يحب الغزو »[٧٢] . ويضيف أبو شامة وابن تغرى بردى : «كان عادلا منصفا مهيبا ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته»[٧٣].

وقد كان لتلك الصفات العالية من العدل والأنصاف والقوة والشجاعة والذكاء والبعد عن الأهواء وحب الغزو آثارها الواضحة على القرارات التى اتخذها والأعمال التى قام بها ، سواء كانت تلك الأعمال تتعلق بسياساته الخارجية أم الداخلية ، بما فيها قراراته تجاه النواحى الشرقية لبلاده .

١ – سياسته نحو آمد(*) :

لا تخفى أهمية آمد فى كونها محطة تجارية بالغة الأهمية تقع على الطريق التجارى الموصل بين الشام وأرمينية وسلاجقة الروم(٧٤) . وكان أهلها يتاجرون مع جهات كثيرة شملت الشام والعراق والجزيرة والموصل وبلاد سلاجقة الروم وأرمينية وفارس (أذربيجان) والجهات الشمالية المتطرفة القريبة من بلاد الخزر، كما شلمت مصر أيضا(٧٥) . كما كان لآمد أهمية اقتصادية كبرى ففيها تتوافر مناجم النحاس خاصة فى أرغن Ergani شمال غرب آمد ، والتى كانت تعمل وتنتج فى عهد السلاجقة(٧٦) . ولم يتدخل علاء الدين كيقباد الأول فى شئون آمد أو غيرها من الممالك الشرقية حتى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م . فبعد أن اتم فتح علائية سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م ، وتمكن من التخلص من أمرائه الطامعين فى السيطرة والحكم فى سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م ، وقام بتأديب الأرمن فى قليقيه وغيرهم من الأمم المسيحية على السواحل ، بقى بقونية يصيف بها تاره وبقيسارية تارة أخرى ، ويشتى بانطالية وعلائية(٧٧) .

فلما كانت سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م أثارت الخلافات بين الأيوبيين ، وهجمات الخوارزميين والتركمان ، خوف كيقباد الأول على أمن وسلامة النواحى الشرقية وخاصة آمد التى كانت تتمع بأهمية اقتصادية كبيرة . إذ لا يخفى ما فعله الخوارزميون فى نفس السنة ٦٢٣هـ عندما حاصروا خلاط وهى مفتاح البلاد

---

* آمد : من مدن ديار بكر على غربى دجلة كثيرة الشجر والزرع ، أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٨٧ .

السلجوقية ، من سوء سيرة ونهبهم البلاد وما فيهم من الفساد مدوا أيديهم فى النهب وسبى الحريم وقتلوا من أهل خلاط قتلى كثيرة ، وهو ما ينفى القول بأن الخوارزميين كانوا درعا يقى هجمات المغول لأنهم أضعفوا البلاد ونهبوها[٧٨] . وفى نفس سنة ٦٢٣هـ قام التركمان الأيوانية بقطع الطريق فى الجهات الشرقية بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا[٧٩] . ثم حدث أن دب النزاع بين المعظم الأيوبى صاحب دمشق وبين أخيه الكامل صاحب مصر ، واستنجد المعظم خلال هذا النزاع بالخوارزمية ، بينما استنجد الكامل بفردريك الثانى (الصليبى) . وانضم إلى جانب المعظم والخوارزمية صاحب آمد الملك مسعود الأرتقى الذى كان يطيع الأشرف الأيوبى صاحب الجزيرة ، ثم أطاع جلال الدين خوارزمشاه ، واتفق معه على قتال الملك الأشرف الأيوبى الذى كان بينه وبين علاء الدين كيقباد مصادقة . فأرسل إليه الأشرف يحركه على بلاد صاحب آمد ، فوجدها علاء الدين كيقباد فرصة سانحة للتحرك وحماية أمن تلك المناطق .

وبدراسة التحركات العسكرية لعلاء الدين كيقباد تجاه آمد وديار بكر نجد أنها لم تتم فى سرعة وتهور وإنما كانت سياسة مدروسة ومتأنية ومسببة. فلم يتسرع كيقباد بإرسال حملة عسكرية لتأديب صاحب آمد الأرتقى قبل أخذ موافقة الملك الكامل الأيوبى ملك مصر .

بل يبادر بإرسال سفارة إلى الكامل فى مصر بهدية جليلة فى نفس سنة ٦٢٣هـ[٨٠] حرصا منه على استمرار حسن العلاقات مع الأيوبيين والاتحاد معهم ضد الغزاة، ثم سار علاء الدين كيقباد بنفسه إلى ملطيه وسير الأمير ابن مبارز الدين جاولى وأسد الدين كنداصطبل (إياس المجنون) إلى بلاد صاحب آمد للاستيلاء على بعض قلاعها منها شمشكازاد[*]

(*) شمشكازاد : قلعة ومدينة فى بلاد الجزيرة بين آمد وخلاط . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٩٤.

والكختا(*) ، وكان هذان الموقعان من المواقع الهامة لاحتوائهما على مناجم النحاس الذى يستخدم فى العديد من الصناعات الهامة ، فحاصروهما ، وتم استدعاء عمال المناجم قبل الاستيلاء عليهما(٨١) ، حفاظا على حياتهم . وتمكن الأمير مبارز الدين جاولى من الاستيلاء عليهما بالأمان بعد محاصرة شديدة(٨٢) . ويبدو أن استيلاء قوات علاء الدين كيقباد على هذين المصدرين المهمين لإنتاج خام النحاس كان سببا فى مسارعة الملك مسعود الارتقى إلى مراسلة الملك الأشرف الأيوبى ومصالحته للعمل على إقناع كيقباد بإعادتهما للارتقة . فأرسل الأشرف إلى السلطان كيقباد يطلب منه العودة وترك بلاد مسعود ، فغضب السلطان وقال لرسول الأشرف : « قل لصاحبك لم أكن نائبا للأشرف يأمرنى وينهانى »(٨٣) . ولما عاد الرسول إلى الأشرف ، أنجد الملك الأشرف الملك مسعود بعشرة آلاف وحاول مواجهة جيش كيقباد ، لكن الهزيمة لحقت به وأسر مقدم جيشه ، وتابع جيش كيقباد تقدمه وفتح حصن منصور(*) أيضا الذى كان على مقربة من الفرات(٨٤) ، مما أضطر الملك مسعود الأرتقى أن يرسل رسولا إلى السلطان كيقباد معه هدايا جليلة ، يطلب الصلح والصفح عما مضى ، ويلتزم أموالا يؤديها فى كل سنة ويخطب له فى جميع بلاده، فأجابه كيقباد إلى طلبه وترك ما بقى من بلاده فى يده . وقال لرسول مسعود: « إذا كان قد وقع ضرر لكم من طرفنا ، فإن هذا المأخذ راجع إلى جهل وخطأ الملك مسعود . وطالما أنه قد جاء يقدم اعتذاره فنحن أيضا بطريق العفو والصفح ونتغاضى عن قصور وأخطائه »(٨٥) . وهذا يثبت أن السلطان علاء الدين كيقباد فى سياسته نحو الشرق ، لم يكن يطمع فى الاستيلاء وتوسيع نفوذه بقدر ما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار والحيوية الاقتصادية للمنطقة وكان تحرك

(*) قلعة الكختا : هى من بلاد الجزيرة ، وهى قلعة عالية البناء ولها بساتين ونهر وبينها وبين ملطية يومين . أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٣ .

(*) حصن منصور : من ثغور الجزيرة هو وملطية ويحاذى الفرات حدة الجنوبى وينحدر النهر الأزرق إلى شمال غرب حصن منصور / كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٥٥ .

كيقباد نحو تلك الحصون يوحى بإدراكه لأهمية تلك الحصون من الناحية الاقتصادية فحصنى كختا وشمشكازاد من المناطق الغنية بمناجم النحاس ، والنحاس من المواد الخام الهامة فى صناعة الأوانى النحاسية وسك العملة النحاسية لذلك رفض كيقباد تسليمهما عندما طلب الأشرف ذلك . أما حصن منصور فكان يقع شمالى النهر الأزرق وجنوبى الفرات بين ملطية وسميساط[٨٦] . فهو إذا محطة مهمة تصل بين ملطية وسميساط الواقعتين على نهر الفرات ، مما يجعله يلعب دورا فى الطريق التجارى بين ديار بكر والشام وسلطنة سلاجقة الروم ، وباستيلاء كيقباد عليها يكون قد حقق نوعا من الاستقرار للطريق التجارى الموصل إلى بلاد الشام عن طريق الفرات .

٢ – سياسته نحو أرزنجان :

سبق أن أوضحنا أن أرزنجان من المدن الاقتصادية الهامة على نهر الفرات وهى من المدن التى حرص كيقباد على استمرار أمنها واستقرارها ، واستطاع كيقباد بمساعدة الأشرف الأيوبى بسط نفوذه على الضفة اليمنى وحتى أواسط امتداد نهر الفرات مخترقا بذلك التحصينات التى أقامها دواد شاه ليصل إلى أرزنجان[٨٧] . وكانت أرزنجان بيد فخر الدين بهرامشاه من بنى منكوجك لمدة ستين سنة بذلوا الطاعة خلالها لسلاطين الروم من السلجوقية وتقربوا إليهم بالمصاهرة . ولما مات فخر الدين ملك ابنه علاء الدين داود ، الذى كان عالما فى النجوم والحكمة والطب، ولكنه كان غافلا فى تدبير الملك وجاهلا فيه[٨٨] . فقبض على كثير من أمراء دولته وصادر أموالهم وأملاكهم ، بل تمادى فى التشدد معهم حتى وصل به الأمر إلى حد إصدار أوامره بحبسهم أو بإعدامهم مما أضطر بعضهم إلى الهروب من وطنه خوفا من الموت ، واتجهوا إلى سلطان سلاجقة الروم كيقباد الأول وشكوا له سوء أفعال علاء الدين فأكرمهم السلطان ، وبعث سفيره إلى علاء الدين داود شاه يطلب إطلاق سراح بقية الأمراء وإعادة أموالهم وأملاكهم ، فتردد علاء الدين

داود فى البداية ولكنه ما لبث أن أطلق سراحهم بعد ما هدده سفير السلطان بلهجة جافة[٨٩] .

وقدم أولئك الأمراء على السلطان كيقباد فأكرمهم وأقطع كل واحد منهم إقطاعًا من الأراضى الزراعية المثمرة . ولما بلغ ذلك علاء الدين داود شاه أدرك خطورة الوضع بزيادة نفوذ أمرائه وتماديهم . فأسرع بالذهاب إلى السلطان ومعه مجموعة كبيرة من الهدايا القيمة فأكرمه السلطان وقرره على ملكه بارزنجان وسيره إليه ومعه الكثير من الهدايا والأموال[٩٠] .

لما وصل علاء الدين داود شاه إلى أرزنجان حرضه قرناء السوء على الاستنجاد بالملك الأشرف الأيوبى وجلال الدين خوارزمشاه وركن الدين جهانشاه صاحب ارزن الروم ، ضد السلطان السلجوقى كيقباد فلما بلغ ذلك إلى السلطان كيقباد غضب غضبًا شديدًا ، وأرسل سرًا الأمراء والجنود إلى حدود قلعة كماخ وارزنجان ، بينما سار هو بنفسه بجيش ضخم عن طريق سيواس إلى ارزنجان وتمت السيطرة على القلاع بسرعة حسب أوامر السلطان ، حتى لا يستطيع علاء الدين داود شاه اللجوء إليها والتحصن بها . ووضع كيقباد الجنود أمام أبواب القلاع لحراستها ولم يقدر علاء الدين داود شاه على مقابلته ولم ينجده من أولئك الملوك فأضطر إلى طلب العفو من السلطان ، فصفح عنه السلطان كيقباد وأقطعة إقطاعا من الأرض فى منطقة آقشهر بالقرب من قونية يطلق عليها الآن اسم الغين Ilgin ، وأرسله هو وحاشيته ورجاله سويا إلى آقشهر[٩١] . ودخل كيقباد ارزنجان وتمت تصفية الوضع فيها ، وسلم أمرها إلى ابنه غياث الدين كيخسرو الثانى ، وعين مبارز الدين أرطقش أتابكاً له[٩٢] .

وقد أتضح من خلال مجريات أحداث فتح ارزنجان أن السلطان علاء الدين كيقباد لم يكن يهدف من جراء توجهه إلى ارزنجان تحقيق أى نوع من أنواع التوسع العسكرى أو فرض القوة ، وإنما كان يهدف إلى إعادة الأمن والاستقرار

التى كانت تنعم به سابقا ، قبل تولى علاء الدين داود الذى أساء معاملته لكبار الأمراء وقتلهم ومصادرة أملاكهم مما أدى إلى انتشار الاضطراب . فلما تقدم علاء الدين داود شاه ملك ارزنجان بالاعتذار للسلطان كيقباد الأول ، عفى عنه السلطان وأقره على بلاده . كما أن تسيير كيقباد لجيوشه لم يكن نتيجة تهور أو تسرع أو وليد لحظة غضب ، وإنما كان تحركا مدروسا ومسببا فقد كان السبب عظيما والخطر ملوحا ، وذلك حينما استخف ملك ارزنجان بتعهده الذى عقده مع السلطان كيقباد ، وحاول أن ينفض تبعيته وينضم إلى الخوارزميين[٩٣] الذين عاثوا فى البلاد التى دخلوها فسادا وتخريبا ، مما أضطر كيقباد إلى التحرك عسكريا للقضاء على ذلك الخطر ، والحفاظ على أمن المنطقة وحيويتها .

٣ – ارزن الروم :

أدرك السلطان علاء الدين كيقباد أهمية أرزن الروم الاستراتيجية والاقتصادية لسلاجقة الروم لذلك ظل ثابتا على نفس السياسة التى اتبعها تجاه مدن الشرق فلم يحاول التدخل فى شئون أرزن الروم إلا عندما اتجه صاحبها لمساعدة جلال الدين خوارزمشاه للاستيلاء على خلاط والتى كانت للملك الأشرف ملك دمشق. وهنا لاح الخطر وكان يتوجب على كيقباد سرعة التدخل عسكريا لإنقاذها، فخلاط هى مفتاح بلاد الروم[٩٤] . لكنه أدرك أنه لن يستطيع مواجهة جيش جلال الدين الخوارزمى وحيدا ، خاصة بعد وصول الأخبار إليه بما فعله ذلك الجيش بخلاط وتمكنه من الاستيلاء عليها فى سنة ٦٢٧هـ[٩٥] . وكان لا بد له من أن ينسق مع الأيوبيين لإشتراكهم معه فى التعرض لهذا الخطر . فألح فى طلب مساعدة الكامل الأيوبى وأخيه الأشرف، ويصور ابن الأثير حرص كيقباد وشدة الحاحه بقوله : «وتابع علاء الدين الرسل بذلك خوفا من جلال الدين ، فأحضر الملك الكامل أخاه الأشرف من دمشق ، فحضر عنده ، ورسل علاء الدين إليهما

متتابعة ، يحث الأشرف على المجئ إليه والاجتماع به ، حتى قيل أنه فى يوم واحد وصل إلى الكامل والأشرف من علاء الدين خمسة رسل »[٩٦] .

وقد أثبت كيقباد أنه كان حريصًا على المصلحة العامة ونشر الأمن فى جميع المناطق الشرقية سواء كانت تابعة له أم للأيوبيين الذين تداخلت حدودهم مع حدوده فى منطقة الجزيرة ، فعندما أحس كيقباد أن الخوارزميين يسببون اضطرابًا شاملاً فى اقتصاد منطقة الجزيرة بما يقترفونه من أعمال الفساد والتخريب للطرق التجارية سارع بالتحالف مع الأيوبيين ، وقدم عساكره ونفسه لإنقاذ البلاد ، موضحًا عدم وجود أى أطماع له فى المنطقة فبعد أن سقطت خلاط فى يد الخوارزميين أرسل كيقباد سفارتين أحدهما إلى الأشرف الأيوبى والأخرى إلى أخيه الكامل تضمنت السفارة الأولى التى أرسلها للأشرف قوله : « والآن فبلادى وأموالى بحكمك فتصل بالعساكر إلى قرشهر وتتجرد وحدك وتصل إلى عندى بقيسارية نتفرج ونحظى بخدمتك ونصل أنا وأنت إلى العسكر بالعساكر ، فوالله لا قنعت لك بخلاط بل بجميع البلاد »[٩٧] . وأرسل السفارة الثانية إلى الكامل الأيوبى يخبره فيها، بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى ارزنجان وعشرة آلاف إلى ملطية وقال له: « وأنا حيث تأمر ، فطاب قلب السلطان بذلك ، فكان مهتمًا لأمر الخوارزمى»[٩٨] .

ويتضح من خلال ذلك حرص كيقباد على التحالف مع الأيوبيين فى وقت عصفت بالمسلمين القوى الغازية من صليبيين ومغول ، فى الوقت الذى انساحت فيه جماعات التركمان الخوارزمية يخربون وينهبون مدن الجزيرة الغنية الخصبة والتى تداخلت حدودها مع حدود سلاجقة الروم والأيوبيين .

وقد استطاع كيقباد بحكمته وحسن سياسته أن يحقق المصلحة العامة التى كان يرمى إليها فنجح فى أيامه الأولى فى إقامة علاقات ود مع السلطان الخوارزمى جلال الدين منكبرتى ، وأخذ السفراء يغدون ويروحون لتقوية تلك الصداقة ، إلا أن

هجوم الأخير على خلاط التى كانت تحت حكم الأشرف الأيوبى حليف كيقباد . وتكوين علاقة بين الخوارزمى وبين جهانشاه أمير أرزن الروم الذى ساعده فى حصار خلاط قد أوجد الشكوك لدى كيقباد بخصوص سياسة جلال الدين ، فأرسل إليه أحد سفرائه وهو التون آبا وبصحبته العديد من الهدايا من أجل أن يصرف النظر عن احتلال خلاط ، إلا أنه لم يستجب لطلب كيقباد ودخلت جماعاته خلاط ونهبوها وخربوها وقتلوا الكثير من أهلها ، مما أضطر كيقباد والذى كان حريصا على أمن خلاط ، أن يتحد مع الأيوبيين لدرء الخطر الخوارزمى ، وتمكنوا من هزيمته فى رمضان سنة ٦٢٧هـ/ اغسطس ١٢٣٠م فى مكان يعرف بياسى جمن (من أعمال أرزنجان)[٩٩] .

وبعد هزيمة جلال الدين الخوارزمى أسر صاحب أرزن الروم ، وأحضر عند ابن عمه علاء الدين كيقباد ، فأخذه وقصد أرزن الروم ، فسلمها صاحبها إليه هى وما يتبعها من القلاع والخزائن وغيرها . وكان حرص علاء الدين كيقباد على أمن أرزن الروم ، انطلاقا من حرصه على حماية الطريق التجارى لسلاجقة الروم، فكانت أرزن الروم تحمى حدود سلاجقة الروم كما أنها كانت من المناطق الغنية بمراعيها ومواشيها التى تصدر إلى فارس عن طريق تبريز .

وقد فرض اضطراب أحوال التجارة على يد الخوارزميين الذين احتلوا خلاط وعاثوا فيها فسادا ، وكذلك إغارة التركمان الأيوانية على الطرق ، ضرورة تحرك كيقباد . فقد حدث أن انتهز التركمان الأيوانية فرصة انشغال الخوارزمية واخذوا ينهبون أذربيجان ، ويقطعون الطريق ، وبلغ من طمعهم أنهم قطعوا الطريق بالقرب من تبريز ، وأخذوا من تجار أهلها شيئا كثيرا ، ومن جملة ذلك قطعان الماشية التى أشتراها تجار أرزن الروم وقصدوا بها تبريز ، فلقيهم الأيوانية قبل

وصولهم إلى تبريز ، فأخذوا جميع ما معهم ، ومن جملته عشرون ألف رأس من الغنم[١٠٠] . وهو عدد كبير يدل على كثرة قطعان الماشية التى كانت تصدر من أرزن الروم إلى تبريز ، ومدى اتساع تلك التجارة بين البلدين .

ولم يقتصر النجاح الذى حققته سياسة كيقباد على إلحاق الهزيمة بالخوارزميين وإخضاع أرزن الروم ، بل لقد حققت تلك السياسة نتائج بعيدة الأثر وعظيمة الفائدة ، وتمثلت فى استمالة جماعات الخوارزميين الفارة بعد هزيمة جلال الدين ، من تتبع المغول . والعمل على توطينهم وتثبيتهم فى قائمة جنده ، واستخدامهم فى استرداد بعض المناطق فى أرمينية والاستيلاء على خلاط . ونجح بذلك فى اتقاء خطرهم وشرهم ، وإبعادهم عن أملاكه ، والحد من انسياحهم داخل الأراضى السلجوقية .

كما اعتقد كيقباد أنه يمكنه تحقيق عملية رابحة لدعم الدفاع عن الأراضى الشاسعة التى يحلتها عن طريق توطين الخوارزميين فيها واستغلالهم فى إعادة إحياء تلك الأراضى التى كانت قد خربت من جراء هجمات التتار والخوارزمية أنفسهم[١٠١] .

٤ – خلاط :

خاف كيقباد على خلاط خاصة عندما بلغه تعرض المملكة الأرمنية لغارات المغول المتكررة وانتهاز بعض القوات الخوارزمية الفرصة لتقوم بالتخريب وأعمال النهب وقطع الطريق[١٠٢] . كما استشعر كيقباد من السلطان الكامل بعد استيلائه على أمد والتطلع إلى بلاده ، فبادر إلى فرض سيطرته عليها[١٠٣] . وانتهز رجوع إلكامل إلى مصر وانشغال الأشرف بملاهيه[١٠٤] ، فأرسل الأمير كمال الدين كامیار الذى تمكن من الاستيلاء على خلاط سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م[١٠٥] ، كما

استولى على بعض القلاع المحيطة بها ، وشرع فـــى عمارتـــها بعـــد أن خربـــها الخوارزميون والتتار ، وأعاد إليها الأهالى الفلاحين الذين هربـــوا ، ووزع عليـــهم البذور والأسمدة والمواشى والغلال ، وأعفاهم من قسم من الضرائب كمـــا أصلـــح قلاعها وحصونها ، ومصادر مياهها . وعاشت هذه النواحى حالة مـــن الاســـتقرار والرفاهية وتوسعت الحركة التجارية ، فقام قسم من التركمان بـــالتوطن فـــى تلـــك النواحى[١٠٦] . ولما اقطعها لأحد أمرائه العقلاء الشجعان ذوى الخبرة وهو ســـــنان الدين قايماز أمره باستمالة الخوارزميين الذين يفدون إلى تلك البـــــلاد . واســـتطاع قايماز استمالة أميرهم قيرخان واقنعه بطاعة السلطان والدخول فى خدمته فأكرمـــهم ورتب لهم جميع لوازمهم ، وأقطع ارزنجان لقيرخان وعاشوا فى نواحـــى أخـــلاط وارزنجان وانتظمت أحوالهم[١٠٧] . وحقق كيقباد بذلك هدفا من أهداف توجهه إلـــى الشرق ، ألا وهو توطين التركمان للحد من خطرهم والاستفادة منـــهم فـــى إحيـــاء الأراضى الزراعية .

وحدث أن بدأت فى تلك الفترة المنافسة بين كيقباد والكامل الأيوبـــــى حـــول منطقة الجزيرة خاصة بعد أن استولى الكامل على آمد وحصن كيفا واخضع حكـــام الجزيرة له سنة٦٢٩هـ/١٢٣٢م ، فأصبح للعاهلين حدود مشتركة أخذ يعمل كـــل واحد منهما على تعديلها لصالحه .

ويبدو أن الكامل فى اتجاهه نحو الجزيرة كان يهدف إلـــى الســـيطرة عليـــها وعلى بلاد الشام وانتزاعهما من اقربائه الأيوبيين ويمنحهم بدلا عنها بلاد ســـلاجقة الروم التى كان يخطط للاستيلاء عليها[١٠٨] . فخرج مع أخيه الأشرف فـــــى ســـنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م نحو بلاد الروم ، وطلب خروج العزيز صاحب حلب لمؤازرتهم،

إلا أن كيقباد سارع بمراسلة العزيز[١٠٩] واقناعه بعدم الخروج بنفسه خوفًا على حلب من دخولها فى خضم النزاع ، وهى من المدن التى حرص كيقباد على المحافظة على استمرار أمنها وسلامتها لدورها المهم فى تجارة المنطقة .

وعلى الرغم من نجاح الكامل فى عبور الفرات إلى بلاد سلاجقة الروم عن طريق خرتبرت « حصن زياد » إلا أنه فشل فى التوغل داخل البلاد بسبب وعورة المنطقة من جهة واستعداد جيش كيقباد من جهة أخرى ، مما أدى إلى ارتداد الجيش الأيوبى . واستخدم كيقباد الفرات أيضًا للعبور إلى الضفة الشرقية التى كانت تقوم عليها شحنة لحراستها[١١٠] ، فعبره هو وجنوده بالزوارق من ناحية ملطية ووصل إلى خرتبرت (حصن زياد) وكان يريد تأديب صاحبها الذى أرشد الكامل الأيوبى للدخول إلى بلاده عن طريق خرتبرت[١١١] فأحتل المدينة وطلب أهلها الأمان[١١٢] .

بل لقد حاول كيقباد الاستيلاء على الرها وحران سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م منتهزًا عودة الكامل إلى بلاده من غير طائل ، وتقاعد ملوك بنى أيوب عنه . وإنما اهتم كيقباد بهما لما تتمتعان به من أهمية اقتصادية حيث تقعان على أطراف الفرات الشمالية حيث تلتقى طرق المواصلات التى تربط بلاد الشام بالجزيرة والعراق وآسيا الصغرى . لكن الكامل تمكن من استعادتهما سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م[١١٣] .

والذى يهمنا هو أن هذه المحاولات من قبل كيقباد تدل بوضوح على حرصه الشديد على منطقة الفرات وإدراكه لأهميته كطريق حيوى للمواصلات بين بلاده وبقية بلدان الجزيرة والشام .

كما استمر اهتمامه بأمن منطقة حلب حتى آخر أيام حياته ، فقام وكف غارات التركمان عن حلب فى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م وأرسل إلى زعماء حلب

يتعهد بحماية الملك الصغير الناصر يوسف ويعرض عليهم مساعدته ونصره ومنع من يقصده أو يتعرض لبلاده بأذى أو فساد[١١٤] .

وعندما جمع قنغز (أمير من أمراء التركمان) جمعًا كثيرًا من التركمان بعد وفاة الملك العزيز صاحب حلب ، « وعاث فى البلاد وأطراف حلب من ناحية قورس ، ونهب ضياعًا متعددة ، وكان يغار ويدخل إلى بلاد الروم ، فخرج إليه عسكر حلب فكسرهم ونهبهم فتخوف المقدمون بحلب أن يكون ذلك بأمر سلطان الروم ، فسيروا إليه رسولاً فى معناه فأنكر ذلك وأمره برد ما أخذه من بلد حلب فرد بعضه ، وانكف عن العبث والفساد »[١١٥] .

وهكذا استطاع كيقباد بحسن سياسته التى اتبعها فى جذب وتوطين الجماعات التركمانية ، أن يحقق نوعًا من السيطرة عليهم وتسييرهم حسب أوامره ، فكف غاراتهم ، واستخدمهم فى إحياء الأراضى الزراعية الخصبة التى سبق لهم أن خربوها مما عاد بالنفع على الحياة الزراعية ومنتجاتها التى انعشت الحياة الاقتصادية كما استطاع بإيثاره سياسة تحقيق المصلحة العامة ونشر الأمن والاستقرار فى جميع المناطق ومحاولته تجنب سياسة الاستيلاء والتوسع العسكرى أن يكسب ثقة وود حكام وملوك الشام والجزيرة ، فبادر الأشرف صاحب دمشق وأهالى حلب وكاتبوا السلطان صاحب الروم ليكون معهم عندما تتكروا للكامل ، وطلبوا مساعدته لمنعه من بلاد الشام ، وانضمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل ، واخذوا يعتمدون على السلطان السلجوقى فى مواقفهم ضد السلطان الكامل[١١٦] . ولو كان علاء الدين كيقباد يطمع فى الاستيلاء على مدن الجزيرة والشام بغرض ضمها لبلاده كما فعل الكامل لما انتظمت كلمة ملوكها وإمرائها على الانضمام إليه والتحالف معه .

سياسة علاء الدين كيقباد الأمنية الداخلية وأثرها فى إنعاش اقتصاد بلاده :

لم يقتصر اهتمام علاء الدين كيقباد فى سبيل تحقيق الأمن الاقتصادى لدولته على الاهتمام بتأمين طرق التجارة الخارجية ، وإنما نراه يوجه اهتماماته أيضًا نحو تحقيق الأمن الداخلى لبلاده . فقد آمن كيقباد بوجوب اتباع سياسة أمنية داخلية تكفل تنمية مقدرات الدولة وثرواتها الداخلية . فأنشأ لحماية التجارة الداخلية سلسلة عظيمة من الخانات تقدم كل أنواع الخدمات المجانية للقوافل التجارية التى تمر عبر أراضى الدولة(١١٧) .

وبلغ من حرص كيقباد على أمن تلك الخانات ، وسلامة القوافل التى تأوى إليها ، أنه لم يقتصر على حراسة تلك القوافل عن طريق جعلها فى خفارة قوات مسلحة ، أو إيجاد نقاط للأمن على طول تلك الطرق ، ولكننا نجده يحرص على بناء تلك الخانات بطريقة تجعلها شبيهة بالقلاع ومزودة بكل وسائل الدفاع اتقاء لإنقضاضات التركمان البدو المفاجئة(١١٨) .

ومن أهم الخانات التى انشئت فى عهد كيقباد الأول خان السلطان الذى كان من أعظم الخانات شهرة وأكثرها روعة وهو يقع على طريق قونيه آقسراى بمدخله الفخم وزخارفه الجميلة ، وخدماته التجارية والاجتماعية والثقافية . وهناك أيضًا خان ارطقوش وقادن وسعد الدين وكلها أنشئت فى عهد كيقباد ولنفس الأغراض(١١٩) .

استثمار أموال الأمراء فى إنشاء الأسوار وتحصين المدن :

لما اعتلى علاء الدين كيقباد العرش ، كان المغول يجتاحون آسيا الصغرى ، فقام بإجراء الاحتياطات الأمنية الداخلية اللازمة لمواجهة هذا الخطر القادم من الشرق . وأصدر أوامره على الفور لامرائه بإنشاء قلاع وأسوار المدن الشرقية

وسيواس وقيسارية وارزنجان . وكان علاء الدين كيقباد يهدف من بنـــاء الأســوار والقلاع وتحصين المدن إلى تحقيق هدفين مهمين :

أولهمـــا : حفظ الأمن والاستقرار لتلك المدن بما يكفل سلامة أرواح الناس وحفـــظ أموالهم من الاعتداءات الخارجية كالغزو المغولى القادم من الشـــرق ، أو من الغارات وأعمال النهب والسلب التى كان يقوم بـــه التركمـــان بيـــن الحين والآخر .

وثانيهما : استحداث سياسة جديدة تهدف إلى الحد من نفوذ أمراء دولتـــه الأغنيـــاء المبذرين المتسلطين ، الذين كانوا يهددون اقتصـــــاد الدولـــة بتبذيرهـــم الأموال فى إقامة الحفلات وإنفاق الأموال فى قنوات لا ترجـــع بالفـــائدة على الدولة ، فضلاً عن أن هذه الثروات قد جعلت للأمراء مكانة ربمـــا زادت أحيانًا على مكانة السلطان كما شجعتهم على المعارضة ومحاولـــة فرض إرادتهم وسيطرتهم على الأمور .

ولما تولى علاء الدين كيقباد الحكم وجد أمراء أقوياء يتمتعون بنفوذ سياســـى واقتصادى واضح ، وقد تجمعت لدى الأمراء الكبار أمثال الأمير سيف الدين أيبـــك والأمير مبارز الدين بهرامشاه أمير المجلس ، والأمير زين الدين بشاره ، والأمـــير بهاء الدين قوطلوغا ، عدة عوامل شجعتهم على الخروج عن طاعـــــة الســـلطان ، والسير نحو طريق السيطرة والتحكم فى أمور السلطنة ، وكان مـــن ضمـــن تلـــك العوامل طول المدة التى عاشوها فى خدمة الدولة ، وتضخـــم ثرواتـــهم الماليـــة ، ووجود دعم وتأييد وتعاطف من أفراد الشعب نتيجة كرمـــهم واغداقـــهم عليـــهم . ووصل الأمر إلى أنه فى الوقت الذى كان يصرف فى مطبخ السلطان عدد ثلاثيـــن رأسًا من الماشية لعموم السرايا والشعب والعبيد ، كان الأمير ســـيف الديـــن ايبـــك الجاشنكير يذبح كل يوم عدد ثمانين من الماشية فى مقر إقامته(١٢٠) .

وقد أدرك كيقباد بثاقب نظره خطورة الوضع وخاف من استفحاله ، فقرر أن يستفيد من أموال أولئك الأمراء ويستثمرها بما يعود على الدولة بالخير والرفاهية ، وتحقيق الاكتفاء الذاتى فأصدر فور توليه العرش الأوامر إلى مائة وأربعين من أمرائه ببناء مائة وأربعين برجا فوق سور العاصمة قونية ، وبهذا الشكل أصبحت قونية كاملة التحصين فى سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م[١٢١] . كما أنفقوا جزءًا كبيرًا من أموالهم على إنشاء المنازل والقصور فى قونية[١٢٢] .

كذلك أمر السلطان كيقباد الأمراء بأن يبنوا فى علائية على ساحل البحر المتوسط أبراجًا على غرار قلاع قونية فبنوها وساهموا كذلك فى بناء ترسانة ميناء علائية وتحصيناتها المتعددة . كما بنوا فيها العديد من المنازل والقصور[١٢٣] .

حاول كيقباد أن يقدم على فكرة السيطرة والحكم المطلق للدولة ، بعد إتمام فتح علائية وكان الهدف من وراء ذلك الحد من نفوذ أمرائه وكبار رجال دولته ، فكانت له إرادة لا تتزعزع فى إبقاء الأمراء على ولائهم له . وحدث أن أشار عليهم بتعمير أسوار سيواس بنفس طريقتهم فى إنشاء أسوار المدن الأخرى ، ليستنفذ بذلك ما بقى من أموالهم ، لكن يبدو أن الأمراء لم يستطيعوا تحمل ذلك ، وقاموا بتدبير مؤامرة ضد السلطان . ووشى أحدهم إلى السلطان بذلك الخطر ، فما كان من السلطان إلا أن أمر بقتل المتآمرين جميعهم . وقد تم ذلك فى قيسارية فى يوم الاثنين ٤ جماد الأول ٦٢٠هـ/١٢٢٣م . كما عزل بقيتهم وعين مماليكه فى مناصبهم ، « فساد الأمن والرفاهية فى البلاد فى عهده وانعدم الظلم ، فلم يبق أى شخص يظلم الضعفاء أو الفقراء »[١٢٤] .

ومما يؤكد حرص السلطان على عدم ضياع أموال أولئك الأمراء ومحاولة الاستفادة منها لتنمية الأحوال الاقتصادية لبلاده ما قاله ابن بيبى : « أنه على أثر التخلص من الأمراء أرسل النواب إلى منازلهم حيث قاموا بمصادرة كل أموالهم

وثرواتهم ، ثم وضع الشمع والأختام عليها ، وخصصوا لها حراسة لأجل الحفـــاظ عليها »[١٢٥] . ويتابع ابن بيبى : « وبعد إعفاء علاء الدين كيقباد عن أقارب وأهالى الأمراء امتلأت خزائن الدولة بالنقود والمجوهرات الثمينة وفتحت المـــدن والقـــلاع الواقعة على الحدود وأطراف الدولة »[١٢٦] .

واستمرت سياسة كيقباد فى الاستفادة من أموال بقية الأمـــراء فـــى عمليـــات الأعمار والإنشاء فى البلاد المفتوحة أيضًا ، من ذلك إرساله الأمراء إلـــى خـــلاط للمساهمة فى إعادة أعمارها بعد أن خربها الخوارزميون ، وقام بتوجيـــه الأمـــراء لتأمين مادة الجبس نظرًا لحاجة المنطقة لها فى إصـــــلاح وترميـــم القـــلاع التـــى تعرضت للتخريب فقام الأمراء بتأمين الجبس من مناطق « عادل جواز » ، وأقـــام كل أمير على نفقته الخاصة فرنًا كبيرًا لبدء العمل . وتم بناء ألف فرن خلال عـــدة أيام وقامت الجمال والحمير بنقل الجبس إلى الأماكن التى تحتاج للإصلاح ، وتمـــت عملية الأعمار بنجاح كبـــير . ووزع الأمـــراء الأراضـــى الزراعيـــة ، والبـــذور والمواشى على الأهالى، واعفوا المزارعين من الضرائب ، مما كان له أثـــره فـــى عودة الكثير من أهالى البلاد المهجرين إلى بلادهم . ولم تمض فترة قصيرة حتـــى نال الجميع مرادهم من الأمن والهدوء وإعمار البـــلاد ، وتشـــجعت بقيـــة القـــلاع المحيطة بخلاط على الدخول فى معية السلطان كيقباد[١٢٧] .

وهكذا استطاع كيقباد بانتهاجه لتلك السياسة المستنيرة الذكية والصارمـــة أن يبعد بلاده عن خضم الأزمات السياسية ، فالبلاد فى حالة نـــهوض اقتصـــادى ولا تحتمل وجود أزمات داخلية ، وإنما هى بحاجة لهدوء سياسى لتحقيق ما كان يصبـــو إليه من تقدم اقتصادى وعمرانى .

وكان أن نجحت سياسته فى اجتذاب أموال الأمراء واســـتثمارها فـــى تنميـــة الدخل القومى للدولة والاستفادة منها فى تحصين المدن ، وتعبئة الجيوش ، وإنشـــاء

القلاع والترسانات على الحدود الساحلية والداخلية ، وإعادة أعمار البـــلاد وإقامـــة المنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ونزل وغيرها .

وإذا كان المؤرخ ابن العبرى ينتقد سياسة كيقباد مع أمرائه ويصفه بالقســـوة والشدة فى معاملة أمرائه[١٢٨] ، إلا أنه ما يلبث أن يستحسن سياسته تلك بقولـــه : « وكانت الدولة السلجوقية قبله محلولة بسبب الخلف الواقع بين أولاد قلج أرسلان فلما وليها علاء الدين أعاد جدتها وجدد ناموسها وألقى الله هيبتـــه فـــى قلـــوب الخلـــق فأطاعوه واتسع ملكه جدًا »[١٢٩] ، كما قال : « وكان المجرمون يهابونه جـــدًا ، إذ كان صارمًا فى أحكامه وقد أخضع لسلطانه مدنًا واصقاعًا عديدة »[١٣٠] .

ويعلق المؤرخ عثمان توران على سياسة كيقباد نحو أمرائه بقوله : « ونتيجة للصراع الذى دام بين كيقباد والأمراء بشأن النفوذ والسيطرة ، فقد كان أمرًا معلومًـا أن يقوم أحد الأطراف بأبعاد الطرف الآخر .. وقد فاز وكسب الجولـــة الســـلطان الشاب صاحب الذكاء والقدرة والإرادة .. ولم تتعرض الدولة للضعف خـــلال هـــذا الصراع ، بل كانت هذه الفترة من الفترات الزاهرة فى إدارة الدولة »[١٣١] .

وهذا يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك نجاح السياسة الأمنية التى اتبعـــها كيقبـــاد لتحقيق الأمن والاستقرار الداخلى لبلاده ، مما ساعده على تحقيق حلمه فـــى جعـــل بلاده من أعظم الدول المتقدمة اقتصاديًا فى القرن السابع الهجرى / الثـــالث عشـــر الميلادى .

* * *

وبعد ، فإنه يتضح من خلال البحث أن السلطان علاء الديـــن كيقبـــاد الأول أدرك منذ بداية توليه عرش سلاجقة الروم أن الاستقرار الاقتصادى هو أهم عـــامل فى بقاء دولته ، وظل تحقيق الأمن الاقتصادى لبلاده هاجسه طوال فـــترة حكمـــه . لذلك اتبع سياسة أمنية خارجية وداخلية ارتكزت على عدة أسس وخطوات صائبـــة

آتت ثمارها فى تحقيق التقدم الاقتصادى الذى شهدته دولتـــه فـــى القـــرن الســـابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

وكان تأمين تجارة العبور التى اعتبرت عصب الاقتصـــاد الســـلجوقى أهـــم الأهداف التى حققتها تلك السياسة وقد اتبع كيقباد فى سبيل تنفيذها الخطوات التالية:

١ – حماية المنافذ البحرية لسواحل بلاده الشمالية والجنوبية باعتبارها مراكز مهمـــة خدمت تجارة السلاجقة وذلك عن طريق إرسال حملات عسكرية لاســـتحداث موانئ وترسانات جديدة لحماية الساحل الجنوبى (علائية) والساحل الشـــمالى (حملة صغداق) ولتأديب المعتدين من القراصنة والدول التى تأويهم .

٢ – عقد اتفاقيات تجارية مع تجار دول البحر المتوسط المشتغلين بتجـــارة العبـــور تضمنت فقرة تتعلق بتأمين أولئك التجار فى البر والبحر ، وتعويضهم أموالـــهم التى فقدوها بإجبار المعتدين على دفعها أو مضاعفتها، بل ودفعها من خزينـــة الدولة بما يشبه نظام التأمين أو الضمان الحكومى فى الوقت الحاضر .

٣ – توفير الأمن للمناطق الشرقية التى تعتبر الشريان الرئيســـى لتجـــارة العبـــور والتى تربط بين شرق العالم الإسلامى وغربه ، وذلك بإتباع سياســـة تحقيـــق المصلحة العامة .

٤ – المحافظة على الأهمية الاقتصادية لنهر الفرات لكونه منبعًـــا مائيًـــا وطريقًـــا حيويًا، وذلك بحماية المدن والمحطات الواقعة عليه أو بالقرب منه ، سواء فـــى آسيا الصغرى ، أو فى الجزيرة ، أو فى شمال الشام ، ما دامت تلـــك المـــدن تلعب دورًا فى تجارة العبور . فكانت خطوة أمنيـــة هامـــة حفظـــت التـــوازن الاقتصادى فى المنطقة من التخلخل والاضطراب .

٥ – إنشاء النزل الآمنة على طول طرق القوافل التجارية الداخلية بقصـــد حمايـــة التجار وبضائعهم ، وتنشيط حركة العبور .

ولم يكن إنشاء النزل الخطوة الوحيدة التى اتخذها كيقباد لتحقيق الأمن للطرق الداخلية إذ أدرك كيقباد أهمية المحافظة على الأمن الداخلى لبلاده كخطوة هامة لتحقيق الازدهار الاقتصادى لبلاده ، فرأى أهمية القضاء على أية بوادر أو محاولات قد تصدر بغرض المعارضة الداخلية من قبل أمرائه الأقوياء والذين شجعتهم ثرواتهم الضخمة على التآمر ضد السلطان ، مما شكل خطرًا كبيرًا على الاستقرار الداخلى للدولة . فوجه بضرورة استثمار أموال كبار رجال الدولة لمساعدة حكومته فى بناء الجيش والترسانات ، وبناء الأسوار وتحصين المدن ، وغيرها من المنشآت الهامة ، والمساعدة فى استصلاح الأراضى الزراعية .

وهكذا تمكن كيقباد أن يتخذ خطوات أمنية اقتصادية بالغة الأهمية تدل على عقلية مستنيرة ، وكأنى به رجل من رجالات السياسة والاقتصاد فى الوقت الحاضر، فأدرك أهمية توجيه القطاع الخاص فى تنمية موارد الدولة والنهوض باقتصادياتها بل وسد العجز فى ميزانياتها .

كذلك ظهرت حنكة كيقباد السياسية فى التعامل مع قضية جوهرية وهامة ، ألا وهى قضية توطين التركمان التى أثبتت الأحداث خطورتها على سياسة سلاجقة الروم . ونجح فى احتوائهم بقصد الحد من خطر اندفاعهم وانسياحهم داخل الأراضى السلجوقية . وذلك بالعمل على توطينهم والاستفادة منهم فى إعمار الأراضى الزراعية خاصة على الحدود الشرقية المشهورة بخصوبتها وكأن كيقباد قد استشف ما سيحدث على يد أولئك التركمان من تغيير لخريطة آسيا الصغرى على يد أبناء العشائر التركمانية الذين كونوا الإمارات العشر فى القرن التالى (القرن الرابع عشر الميلادى) .

هذا بالإضافة إلى حرص كيقباد على تأمين مصادر الجزية والاهتمام بتحصيلها وتأديب من رفض تأديتها لكونها مصدرًا هامًا من مصادر دخل الدولة السلجوقية .

الهوامش

(١) عثمان توران : الأناضول فى عهد السلاجقة والإمارات التركمانية ، ترجمة د. على محمد الغامدى ، ص٢١.

(٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠.

(٣) إمارة نيقية البيزنطية إحدى الممالك البيزنطية التى قامت فى آسيا الصغرى بعد سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين كما قامت إمارة بيزنطية فى طرابيزون وأخرى فى ابيروس .

(٤) عن سقوط القسطنطينية فى يد اللاتين سنة ١٢٠٤م ، انظر فلهار دوين – فتح القسطنطينية ، ترجمة حسن حبشى .

(5) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 275.

(6) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi p.119.

(٧) انظر للباحثة (الفتح الإسلامى لحصن كالونوروس وتحويله لميناء علائية الإسلامى) بحث منشور فى مجلة المؤرخ المصرى العدد ٢١ ، يناير ١٩٩٩م .

(8) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anadoluda Islamiyt in yayilisi, Istanbul, p.171.

(٩) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص٣١٠ .

Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(10) Islam Tarihi Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1, p. 17, Istanbul, 1988.

(١١) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

(١٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٩ .

(١٣) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ أ .

(١٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٩ .

(١٥) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب ، انظر المزيد عن فتح سغداق : ابـــن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٠ – ١٢٨ .

(١٦) المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(17) Islam Ansiclopedies, cilt 6, Meb, Istanbul, 1977, p. 649.

(١٨) ابن بيبى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(18) Islam Ansiclopedies, cilt 6, p. 649. Meb, Istanbul, 1977.

(٢٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٢٣٩ .

(٢١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٨ ، ١٢٩ . المولوى : صحائف الأخبـــار ، ورقة ٥٧٩ ب ، ويذكر المولوى أن كومننوس موزد الرومى كان حمـــا الســـلطان غياث الدين كيخسرو .

(٢٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .

(٢٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .
المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٢٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣٠ .

(٢٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ .

(٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ .
المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(27) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.

(٢٨) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٠ .

(٢٩) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٩١ ، ٩٢ .

(٣٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٦٤ .

(٣١) كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشـــيخ ، ط١ ، ص٢٣٣ ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

(31) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri., P. 171.

(٣٣) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصـــور الوســطى ، ص٣٠٥ ، ٣٠٦.

(32) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٣٦) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٩٤ ، ١٥٢ .

(37) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٣٨) كامل الغزى : تاريخ حلب ، جـ١ ، ص١٤٥ .

(39) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri, p.171.

(٤٠) ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ص ٣٠٦

(٤١) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 161. .

(٤٢) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٧ .

(٤٣) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٢٨ .

(٤٤) ابن سعيد : كتاب الجغرافية ، ص١٧١

(٤٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أناضول .

(٤٦) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحســن ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص٤٨٦

(٤٧) تجمعت أكثر تلك العشائر التركمانية بصورة رئيسية فى منطقة الحدود بين ســلطنة سلاجقة الروم وجيرانها فى شرق وجنوبى شرقى آسيا الصغرى حيث وجدوا تلــك المنطقة مناسبة لمعيشتهم الرعوية . Claud Cahen: Op. Cit. P. 145.

(٤٨) بابا إسحاق : هو شيخ حركة البابائية الشهير وهو تركمانى الأصل ، أعلن بالاتفــاق مع مريديه راية العصيان على غياث الدين كيخسرو الثــانى (٦٣٤ - ٦٤٤هـــ/ ١٢٣٦ - ١٢٤١م) سلطان سلاجقة الروم فى عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، أنضم إليــه

الكثير من التركمان الذين كانوا يقطنون مناطق الحدود فى دولة سلاجقة الروم انظر عن حركة البابائية ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص٢٢٧ – ٢٣١ .

(٤٩) لم يغفل الجغرافيون والمؤرخون الحديث عن أهمية نهر الفرات فعن فضل الفرات وصحة مياهه يقول ابن العديم : (كل ماء فى نهر فطير إلا ماء فرات فإنه حمير لكثرة اختلاط الأهوية به وتكسير المهدزاسات له وهذه المهدزاسات عملت لتكسير حدة المياه ، قلت وإلى زمننا هذا نختار ماء الفرات للخلفاء على ماء دجلة) . ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، م١ ، مخطوط مطبوع بالتصوير ، ص٣٦٩. وروى أن أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان . وروى عن على رضى الله عنه ، أنه قال : (يا أهل الكوفة ، إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة) وروى عن جعفر بن محمد الصادق أنه شرب من الفرات فحمد الله وقال : ما أعظم بركته ، لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو حاجة إلا براً). القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٤٢١ (دار صادر : بيروت) . وعن أهمية نهر الفرات كطريق حيوى ومهم لنقل البضائع بين شرق العالم الإسلامى وغربه يقول الدمشقى : « يسمى الفرات أحد الرافدين يعنون دجلة معه وسميا بذلك لأنهما تجريان فى جانبى بغداد . دجلة من الشرق والفرات من الغرب . فتأتى المراكب إلى بغداد فى دجلة من الصين فما بعده ومن اليمامة فما بعدها ومن الهند والزنج وما بعدها . وتأتى الأكلاك أيضا إلى بغداد فى الفرات من أرمينية وأذربيجان فما بعده ومن الروم والشام ومن المغرب ومصر وما بعدها .

انظر نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص٩٣ .

(٥٠) ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافية ، ص١٨٧ .

(٥١) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨٥ .

(٥٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص١٧٤ . ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، م١ ، ص٦٣٤ . القزوينى : آثار البلاد ، ص٤٩٤ .

(٥٣) المسعودى : التنبيه والأشراف ، ص٥٢ – ابـــن العديـــم : بغيـــة الطلـــب ، م١ ، ص٦٣٥ – الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص٩٣ ، ٩٤ .

(٥٤) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٣١ ،

Hamd Allah Mustawfi; Nuzhat AL-Qulub geographical part, London, 1915, p. 90.

(٥٥) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٣٨٥ .

(٥٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٥٠ .

(٥٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جـ٣ ، ص٣٦٤ – المقدســـى : أحســـن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ص٢٠ .

(٥٨) انظر ص٢٧ من البحث .

(٥٩) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨١ ، تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٤ .

(٦٠) تمارا رايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص١٠٩ .

(٦١) يصف القزوينى بلاد الروم « بلاد واسعة من أنزه النواحى وأخصبها وأكثرها خيرا وعجائب ذكرت فى مواضعها .. مياهها من أعذب المياه وأخفها ، وهواؤها أصـــح الأهوية وأطيبها » آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٣٠ .

وتوضح ثمارا رايس ، ص١٢ أنه كان لاهتمام السلاجقة بمياه الشـــرب والأمـــور الطيبة أثر كبير فى الاستفادة من ينابيع المياه وأنه كان للســـلاجقة حمامـــات فـــى منطقة قير شهر مما يدل على وجود ينابيع بها . لكن يبدو أن الجفاف عندما يصيـب هذه الينابيع يضطر السقاة لجلب المياه من الفرات الذى يمثل منبعـــا مائيـــا دائمـــا لسلاجقة الروم .

(٦٢) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٥٧ .

(63) Herbet Jansky: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Keykubadin Emniyet politikasi p.120.

(٦٤) خليل أدهم : قيصرية شهرى ، ص٦٠ .

(٦٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص٣٤٩ .

(٦٦) أبو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين ، ص٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م/ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٦ ، ص٢٢٣ ، ٢٢٤ ، دار الثقافة ، القاهرة .

(٦٧) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص٢٩٨ .

(٦٨) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ، جـ٨ ، ص٧٠٣ ، ط١ ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م / ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(٦٩) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨٣ .

(٧٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص٣١ .

(٧١) الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ٣ ، ص٢٤ ، ط٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

(٧٢) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص٢٩٤ .

(٧٣) أبو شامة : تراجم رجال القرنين ، ص٢٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٤ ، ص٢٨٧ .

(74) Osman Cetin: Selcuklu Mussesleri Ve Anaddua, p.172.

(٧٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص١٠١ / ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ١٠ ، ص٤٤ / ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، جـ٢ ، ص٣٧٩

(٧٦) C. Cahen: Pre ottoman Turkey; p. 16.

(٧٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(٧٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٧٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٢ .

(٨٠) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٢١ ، ط٢ ، تصحيح محمد مصطفى زيادة .

(٨١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٨٢) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(٨٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص١٩٠ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ ، ص٣٥٨ .

(٨٤) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، جـ٣ ، ص ١٥٥ .

(٨٥) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٢٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٨ ب .

(٨٦) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص٢٦٩ .

(87) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٨٨) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٣ / المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٧ ب .

(٨٩) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٣ .

(٩٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٤ .

(٩١) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٥٠ .

(٩٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٥٠ .

(٩٣) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٨ .

(94) The Encyclopaedia of Islam, vol. IV, p. 817.

(٩٥) يصف ابن الأثير تملك الخوارزميين لخلاط وما فعلوه بقوله : « وخربوا خلاط ، وأكثروا القتل فيها ومن سلم هرب فى البلاد ، وسبوا الحريم ، واسترقوا الأولاد ، وباعوا الجميع » ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٦٠ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٩١ .

(٩٧) ابن نظيف : التاريخ المنصورى ، ص٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٩٨) المقريزى : السلوك ، جـ١ ، ص٢٣٨.

(٩٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٤٩١ - ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٤٩ .

Osman Turan: Selcuk Devri Vakfiyeleri, Altun Aba, Belleten, XL, Ankara, 1947, p.198.

(١٠٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١٢ ، ص٤٦٢ .

(١٠١) نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ص٤٨٨ .

(١٠٢) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٠٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٧ .

(١٠٤) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٧٩ ب .

(١٠٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٨ . ويذكره المقريزى سنة ٦٣١هـ، السلوك : جـ١ ، ص٢٤٢ .

(106) Islam Ansiklopedesi, 6 cilt, Meb, Istanbul, 1977.

(١٠٧) المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٨١ أ .

(١٠٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٤ ، ص٣٢٤ .

(١٠٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٦ .

(١١٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٥٤ .

(١١١) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص٧٨ ، ٨٠ .

(١١٢) إبن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨١

(١١٣) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ٣ ، ص٢٢٠ / سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ٨ ، ص٦٩٤ . كانت حران تقع فى وسط المنعطف الكبير بالجانب الغربى لنهر الفرات ، وهى محطة كبرى على الطريق المؤدى من الموصل إلى حلب ، وكان لها دور تجارى بالنظر إلى عدد التجار الحرانيين الذين كانوا يوجدون فى

بغداد وسوريا ، بل وحتى فى عدن والصين . كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ص٢٤٩ .

(١١٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص١٣١ .

(١١٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص١٣٠ .

(١١٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٥ ، ص١٣٠ .

(117) S. Vryonis: The decline of medieval hellenismin Asia minor and the process of Islamzation from the eleventh through the fifteenth century, p. 221-222 – Islam Ansikliop, idisi 6 cilt, Meb, p. 659. Istanbul, 1977.

للمزيد عن الخانات التى أنشئت فى آسيا الصغرى فى عهد سلاجقة الروم وما تقدمه من خدمات انظر :

Osman Turan, Selcuk kervan Saraylari, Belleten 37, Aukara, 1946.

(١١٨) محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ص٨٧ .

(١١٩) للمزيد عن أوصاف وخدمات هذه الخانات انظر أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد عيسى (اسطمبول ، مركز الأبحاث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، ١٩٨٧م) . نورة بادياب : قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم ، رسالة دكتوراه ، لم تنشر ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(١٢٠) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٢ .

(121) Anonim: p. 29. / Osman Turan, Selcuklular Zamaninda Turkiyes p.339.

(122) Anonim: p. 29.

(123) Anonim: p. 29.

(124) Anonim: p. 30.

(١٢٥) إبن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٣ .

(١٢٦) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١١٧ .

(١٢٧) ابن بيبى : مختصر سلجوقنامة ، ص١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٢٨) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(١٢٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص٢٥٠ .

(١٣٠) ابن العبرى : تاريخ الزمان ، ص٢٨٣ .

(131) Osman Turan: Selcuklular Zamaninda Turkiye, p.342.

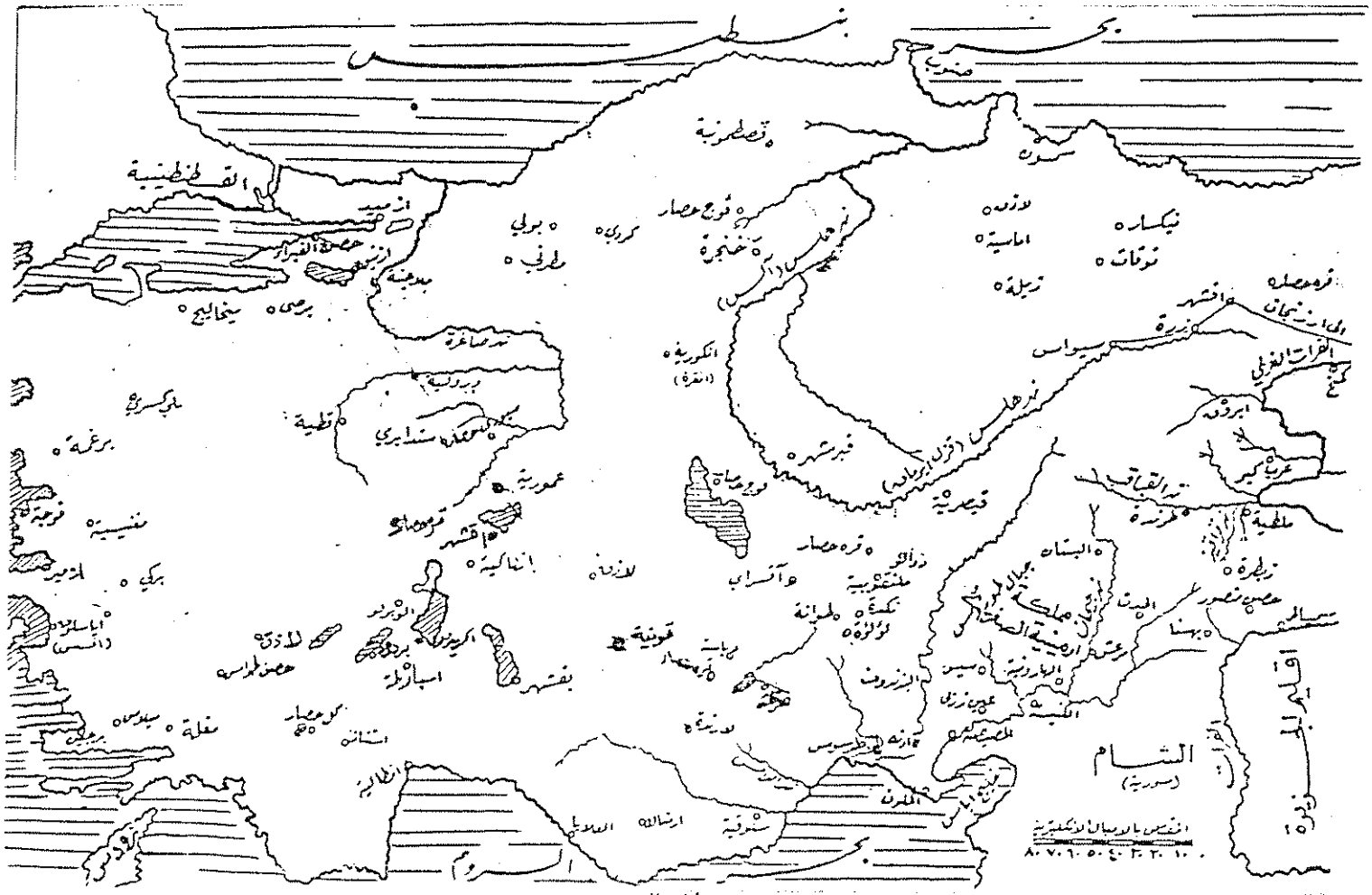

نقلاً عن كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية

خريطة رقم (٢)

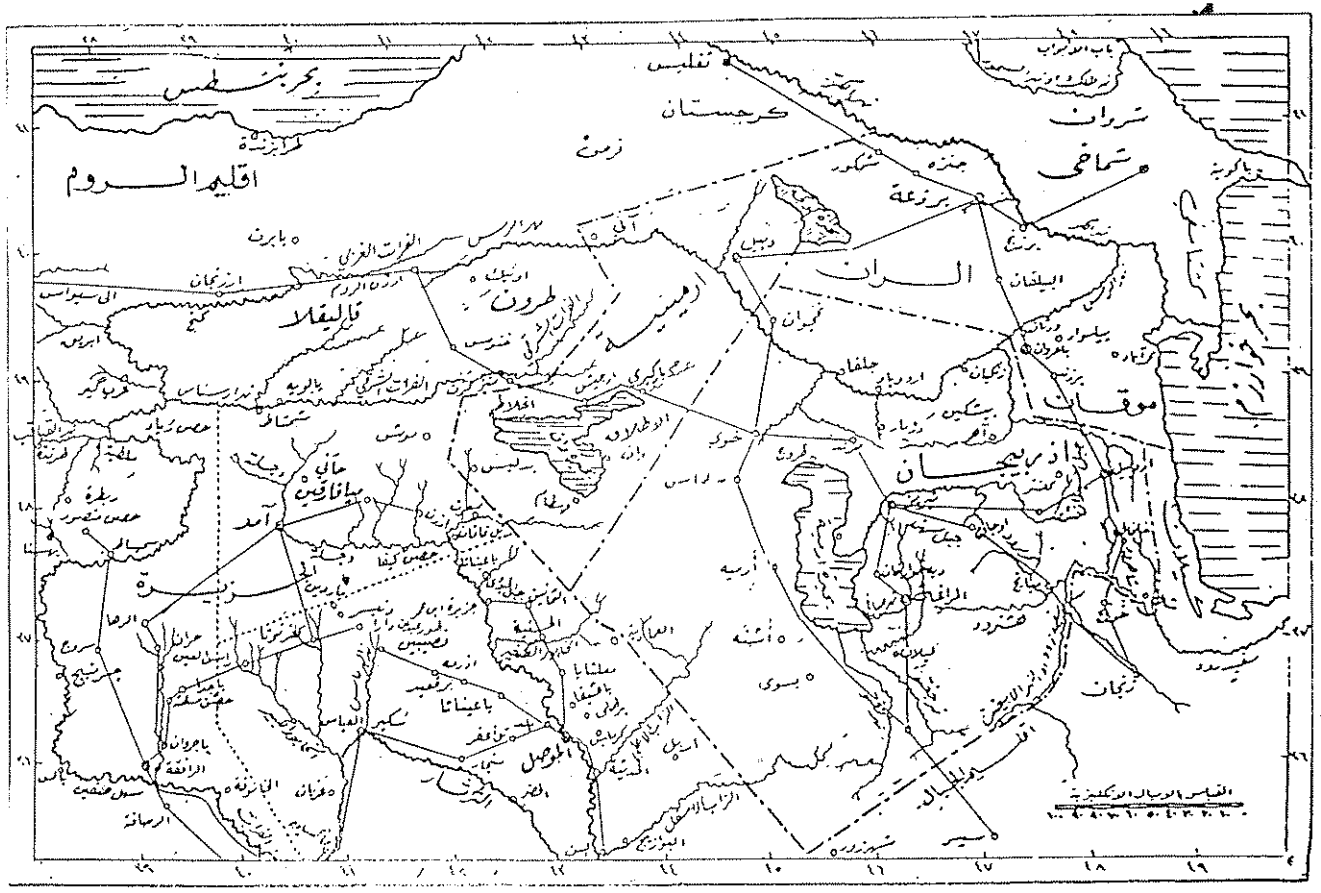

اقليما الجزيرة واذربيجان، مع أقاليم الحدود الشمالية الغربية

خريطة توضح طرق المواصلات والتجارة بين حدود سلاجقة الروم الشرقية وبلاد الجزيرة وفارس والكرج

خريطة رقم (٣)

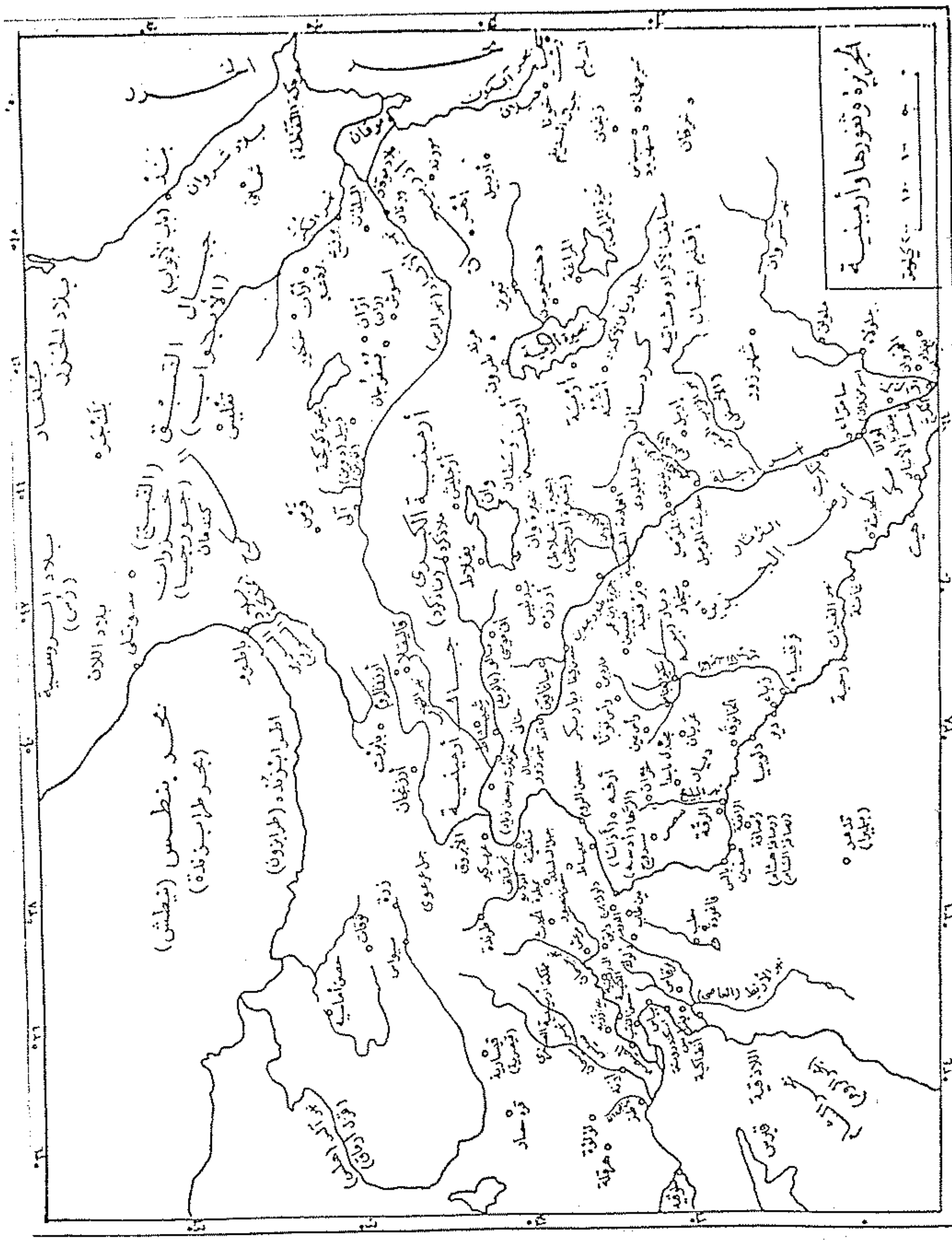

نقلاً عن : د. ماجد والبنا : (الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى)

خريطة توضح مخرج نهر الفرات وامتداده وأهم المدن والمحطات الواقعة على طريقه

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر والمراجع العربية والمعربة :

١ – ابن الأثير الجزرى (أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) : الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٢ – الأدريسى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسى ، ت ٥٦٠هـ/١١٦٥م) : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

٣ – ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

٤ – ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ، ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م

٥ – تمارايس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداقوقى ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

٦ – ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاو على التركى الشهير بسبط ابن الجوزى ، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، القسم الثانى ، جـ٨ ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ، الهند ، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

٧ – ج. م. هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٨ – حامد زيان : حلب فى العصر الزنكى ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠م .

٩ – ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ) : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، (د. ت) .

١٠ – الحموى (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

١١ – ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة مولى أمير المؤمنين ، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) : المسالك والممالك ، طبعة ليدن ، ١٨٨٩م.

١٢ – دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتاوى وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس ، طبعة دار الفكر ، ١٩٣٣م .

١٣ – الدمشقى (شمس الدين أبى عبد الله محمد أبى طالب الأنصارى الصوفى الدمشقى شيخ الربوة) : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، دون تاريخ ، دون مكان نشر .

١٤ – الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز ، ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء ، الطبعة الثامنة ، مؤسسة الرسالة: بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

١٥ – ابن سعيد المغربى (أبو الحسن على بن موسى المغربى ، ت ٦٨٥هـ/٨٢٦م) : كتاب الجغرافية ، تحقيق إسماعيل العربى ، بيروت، ١٩٧٠م .

١٦ – أبو شامة : (عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، ت ٦٥٥هـ) : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤م .

١٧ – ابن العبرى (أبو الفرج جمال الدين غريغوس الملطى، ت٦٨٣هـ/١٢٨٦م):

– تاريخ الزمان ، ترجمة الأب إسحاق أرملة ، دار المشرق : بيروت ، ١٩٨٦م .

– تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الأولى ، (د. ت) .

١٨ – ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) : بغية الطلب فى تاريخ حلب ، نشر فؤاد سزكين ، معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية ، فرانكفورت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٩ – زبدة الحلب فى تاريخ الحلب ، تحقيق سامى الدهان ، المعهد الفرنسى بدمشق للدراسات العربية .

٢٠ – على محمد الغامدى : بلاد الشام قبيل الغزو المغولى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٢١ – أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) : تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٢٦٧هـ/١٨٤٠م – المختصر فى أخبار النشر ، بيروت ، بدون تاريخ.

٢٢ – ابن فضل الله العمرى (القاضى شهاب الدين ، ت ٧٤٩هـ/١٣٥٠م): التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، مصر ، ١٣١٢هـ .

٢٣ – ف. هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م .

٢٤ - القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، (د. ت) .

٢٥ - القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت (د. ت) .

٢٦ - القلقشندى (أبو العباس بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩١٩ - ١٩٢٢م .

٢٧ - كامل حسين محمد مصطفى الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب ، حلب ، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م .

٢٨ - كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد الشيخ ، الطبعة الأولى ، سينا للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

٢٩ - كى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٣٠ - محمد فؤاد كوبريلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار الكتاب العربى ، (د. ت) .

٣١ - المقريزى (أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة.

٣٢ - المولوى (أحمد بن لطف الله المولوى الشهير منجم باشى ، كان حيا سنة ١١٣٦هـ) : صحائف الأخبار فى وقائع الإعصار ، مخطوط بمكتبة أحمد الثالث باسطمبول ، رقم ١/١٢٤٥

٣٣ – ابن نظيف الحموى (أبو الفضائل محمد بن على بن نظيف عاش فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى) : التاريخ المنصورى (تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العيددودو ، دمشق ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٣٤ – نيكيتا ايليسيف : الشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ترجمة منصور أبو الحسن ، دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٣٥ – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ٤ ، وجـ٥ ، تحقيق حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب ١٩٧٧م.

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

١ – إسماعيل غالب : تقويم مسكوكات سلجوقيه ، قسطنطينة ، ١٣٠٩هـ .

٢ – ابن بيبى (الحسين بن محمد بن على المنشئ الجعفرى ، ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م) : مختصر سلجوقنامة ، منشور فى تواريخ آل سلجوق ، نشرة هوتسما فى سلسلة .

Recueil de textes relatifs a L,histoire des Seldjoucides, vol, IV, Leide, 1902.

٣ – خليل أدهم : قيصرية شهرى (مبانى إسلامية وكتابة لرى تاريخ عثمانى انجى كلياتى ، العدد ٥ ، اسطمبول ، ١٣٣٤هـ) .

٤ – مؤلف مجهول : تاريخ آل سلجوق ، نشرة فريدون نافز أوزلك باسم Anonim فى سلسلة .

Anadolu Sedcuklulari Devleti Tanihi III Ankara, 1952.

٥ – المستوفى القزوينى (حمد الله ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) : نزهة القلوب ، ترجمة الجزء الجغرافى (لسترانج G. Lestrange) بعنوان :

Hamd Allah Mustawfi of Qazwin Nuzhat AL-Qulub.

(The Geographical part), London, 1915.

6- Cahen, Claud: pre ottoman Turkey (translated from the french by J. Jone Williams) Sidawick, Jackson, London.

7- Cambridge history of Islam, vol. I. Cambridge, 1970.

8- Cetin, Osman: Selcuklu Mussesleri Ve Anadolude Islamiyetin Yayilisi, Marifet Yayinlari, Istanbul.

9- The Encyclopaedia of Islam, volume IV, leiden, E. J. Brill, 1978.

10- Islam Ansiclopedies, cilt 6, Istanbul, 1977.

11- Islam Tarih Kultur Ve Medeniyeti, Vol. 1. Istanbul, 1988.

12- Jansky, Herbet: Selcuklu sultanlarinadan Birinci Alaeddin Kekubadin Emniyet politikasi, Istanbul.

13- Turan, Osman:

- Altun Aba ve vakfiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947.
- Mubarizeddin Er-Tokus ve vakfiyesi (Selcuk Devrivak Fiyesi, Belleten, XL, Ankara, 1947).
- Selcuklular Zamaninda Turkiye, Istanbul, 1980.

14- Vryonis, Seperos, Jr: The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization of from the eleventh through the fifteenth century, London, 1971.